ديانات

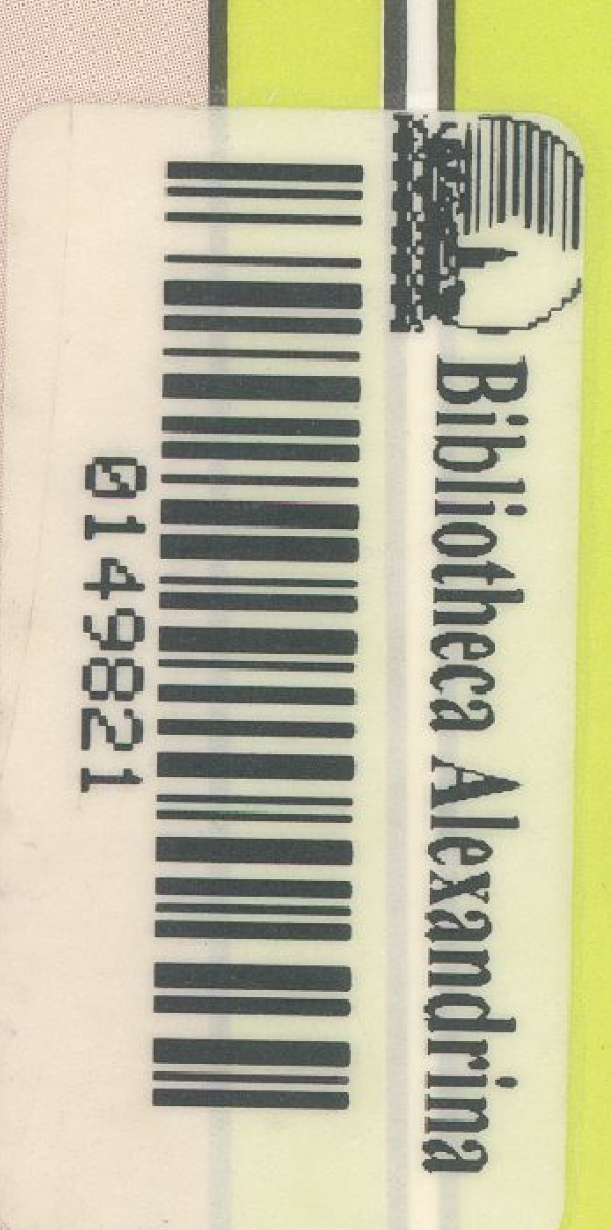
زدني علماً

بول پوپار

الڤاتيكان

عاصمة الكثلكة في العالم

مع مقدمة من المؤلف
خاصة بالطبعة العربية



منشورات عويدات
بيروت ـ لبنان

الفاتيكان

عاصمة الكثلكة في العالـم

Publié dans le cadre du programme d'aide à
la publication «Georges Schehadé».

بول بوبار
كردينال، رئيس المجلس الحبري للثقافة

الفاتيكان
عاصمة الكثلكة في العالم

مع مقدمة من المؤلف
خاصة بالطبعة العربية

تعريب
أنطوان إ. الهاشم

منشورات عويدات
بيروت ـ لبنان

ويشمل، كمرحلة أولى، الكتب التالية:

1 ـ الأطفال وعدم التكيُّف/ روجيه بيرّون.
2 ـ سوسيولوجيا الإعلان/ جيرار لانيو.
3 ـ إعداد المعلمين/ غاستون ميالاريه.
4 ـ التحليل النفسي والأدب/ جان بلاّمان نويل.
5 ـ الڤاتيكان/ بول بوبار.
6 ـ الحماية الدولية لحقوق الإنسان/ باتريس رولان ـ بول تاڤرنييه.
7 ـ ديون العالم الثالث/ جان ـ كلود برتيليمي.
8 ـ ابن رشد والرشدية/ موريس روبن حيّون ـ آلان دوليبيرا.
9 ـ وسائل الإعلام في المستقبل/ فردريك ڤاسّور.
10 ـ سوسيولوجيا اللغة/ بيار أشار.
11 ـ الصراع الاقتصادي في العلاقات الدولية/ ماري هيلين لابّيه.
12 ـ المجالس الاقتصادية والاجتماعية في العالم/ بيار بودينو.

Les Editeurs,
P.U.F.,
PRESSES UNIVERSITAIRES DE FRANCE
Le Président du Directoire

Le Cessionnaire,
EDITIONS OUEIDAT
☎ 831570 - Fax (1) 421003
B.P. 623 Beyrouth - Liban

FAIT EN DOUBLE EXEMPLAIRE A PARIS, LE 22 MAI 1995

الطبعة الأولى 1996

مقدمة المؤلف للطبعة العربية

كثيراً ما يظل الڤاتيكان، تحت أنوار وسائل الإعلام الكاشفة، وبالنسبة إلى الكثيرين، حقيقة خفية. وهذه الصفحات التالية التي ترفدها إلفة طويلة الأمد مع الڤاتيكان لمساعد مقرَّب من البابوات، وهم يوحنا الثالث والعشرون وبولس السادس، في أمانة سر الدولة من سنة 1959 إلى سنة 1971 ثم يوحنا بولس الثاني منذ سنة 1981 بعد أن كان لمدة عشر سنوات مدير المؤسسة الكاثوليكية، هذه الصفحات كتبها رئيس المجلس الحبري للثقافة، وذلك من أجل الولوج إلى هذه الحقيقة.

إن أصغر دولة في العالم ـ 44 هكتاراً ـ هي أيضاً الدولة التي تتمتع بأكبر إشعاع روحي لأنها مقر خليفة الرسول بطرس، أي البابا، الذي هو نائب المسيح بالنسبة إلى الكاثوليك، و «خبير في الإنسانية» لجميع الناس ذوي الإرادة الطيبة الذين يقرون بسلطته المعنوية الواسعة الانتشار. الڤاتيكان هو مركز أجهزة الإدارة الرومانية التي تساعد أسقف روما في خدمته للكنيسة الجامعة ـ 900 ـ مليون كاثوليكي، وفي حواره مع المسيحيين الآخرين، مع المؤمنين وغير المؤمنين، مع المنظمات الدولية والثقافات ودول العالم قاطبة. 159 دولة تقيم معه علاقات دبلوماسية.

لقد صرَّح البابا بولس السادس في الرابع من تشرين الأول/ أكتوبر سنة 1965 في نيويورك ومن على منصة منظمة الأمم المتحدة قائلاً: «هذه السيادة الزمنية الصغيرة وشبه الرمزية هي أقل ما يحتاجه الكرسي الرسولي ليكون حرّاً في ممارسة مهامه الروحية وليطمئن جميع الذين يتعاملون معه أنه مستقل عن أية سيادة في العالم».

والڤاتيكان، الذي هو مركز النشاط اليومي للقديس بطرس ومعاونيه من كرادلة وأساقفة وكهنة ورهبان وعلمانيين آتين من القارات الخمس، يجذب كالمغنطيس رؤساء الدول ورؤساء الكنائس والأساقفة والمؤمنين الذين ينتظر منهم عشرة ملايين في سنة 2000 المعتبرة سنة مقدسة.

تغص متاحف الڤاتيكان بالزوار، كنيسة سيكستين المرمَّمة تتألق جمالاً، وساحة القديس بطرس تستقبل بين ذراعي أعمدة برنان المفتوحة على رحبها الزوّار الأسبوعيين والاحتفالات الليتورجية التي تضيق عنها كاتدرائية القديس بطرس.

إني أتقدم بامتناني من دار عويدات للنشر في بيروت لأنها ستتيح لعدد كبير جدّاً من قراء اللغة العربية الدخول إلى الڤاتيكان، فعلى الرحب والسعة.

الكردينال پول پوپار

روما، في 15 أيلول/ سبتمبر 1995

تقديم المعرّب

عندما فاتحني الأستاذ أحمد عويدات صاحب الدار، في أمر تعريب هذا الكتاب ـ الڤاتيكان ـ بهتُّ للمفاجأة وفوجئتُ بالمغامرة؛ غير أنه ما لبث أن زال تعجبي وحيرتي لما رأيتُ عنده من إيمان برسالته وثقة بقارئه وثقة قارئه به، وقد عوّده أن لا يقدّم له سوى كل جميل وممتع ومفيد لكي «يزيده علماً» ويغنيه ثقافة.

وقد وقع اختياره على هذا الكتاب، لما يمثل الڤاتيكان، كدولة ومرجع ديني، بالنسبة إلى شعوب الأرض قاطبة، من قيم روحية وإنسانية وأخلاقية واجتماعية، وهو خير شاهد على ما للقيم الحق من حرمة وخلود، هذا أولاً، وثانياً لأن من أهدافه أن تتلاقى الأديان السماوية وتتعارف فتتآلف كلقائها عند منبعها والمصب؛ ثم لعلمه يقين العلم بأن الثقافة الإنسانية لا تتدفق من نبع واحد ولا تجري في جدول أحد؛ بل هي بحر تصب فيه جداول من كل طعم ونكهة، وروضة تحوي الأزهار من كل عطر ولون.

من هنا كان قراره أن يزف هذا الكتاب وأمثاله إلى قرّائه المنتشرين من المحيط إلى الخليج وما وراءهما، وقد رغب إلي في أن تأتي الترجمة أمينة صادقة صريحة لا تستّر فيها ولا تعتيم، فبذلتُ جهدي كي أنفذ له ما شاء، غير هيّاب بأن أصرح بأني صادفت الكثير من المصاعب الناشئة، بخاصة، عند استخدام المؤلف لبعض التعابير اللاتينية ـ اللغة الرسمية للكرسي الرسولي في القضايا الدينية ـ الأمر الذي اضطرني إلى الاستعانة ببعض أصحاب الاختصاص من الآباء والأصدقاء فلهم مني جزيل الشكر، وللقراء أمنيتي أن يجدوا في هذه الصفحات ما يرضي طموحهم إلى المعرفة ويروي تعطشهم إلى الاستزادة من العلم والثقافة، وأرجو أن أكون عند حسن ظنهم، ولله الأمر أولاً وآخراً.

أنطوان الهاشم

مقدمة

من قبر بطرس الذي ارتفعت فوقه بازيليك (كاتدرائية) القديس بطرس إلى خليفة بطرس الذي شُيِّد محل إقامته في جوارها المباشر، ألفا سنة من التاريخ دونت باستمرارية مذهلة. الڤاتيكان الذي هو موضع للقبر أصبح له رمزاً: قبر أولاً ثم كاتدرائية وبعدها محل إقامة ثم دولة صغيرة مساحتها 44 هكتاراً ذات إشعاع عالمي لأنه مقر كيان فريد من نوعه، الكرسي الرسولي، وهو التعبير القانوني للكنيسة الكاثوليكية المركزية.

إن تلة الڤاتيكان تطل من التاريخ كمرتفع للتنبؤات ـ Vaticinia ـ (باللاتينية) ـ ومن هنا اسمه. إن عرَّافي الإتروسك لم يتركوا لنا أسرارهم. ففي ظل الإمبراطورية الرومانية كانت حفلات سباق العربات تجري في ملعب الڤاتيكان. لقد بدأت مع كاليغولا وانتهت مع نيرون بذكرى كارثية. فالإمبراطور الطاغية، كما يخبرنا سينيك، أمر بذبح ضحايا بشرية على ضوء المشاعل، واستناداً إلى تقليد موغل في القدم فإن الرسول بطرس الذي جاء إلى روما لتأسيس الكنيسة في قلب الإمبراطورية، هلك بهذه الطريقة. ويشهد على ذلك البابا كليمنس (Clément) أسقف روما في رسالة إلى القورنثيين في نهاية القرن الأول. ويؤكد الرواية أسقف إنطاكية في سورية القديس إغناطيوس في رسالة إلى الرومانيين كتبها في إزمير ربما في 107 م في عهد تراجان.

وفي مطلع القرن الثالث برز تقليد يقول إن صياد الجليل قد يكون

صُلب رأسُه إلى الأسفل كما تمثله منحوتة (ناتئة) في كهوف الڤاتيكان تحت البازيليك تعود إلى القرن الخامس عشر. ولقد حفظ لنا المؤرخ أوسابيوس مستنداً نقله عن الكاهن الروماني غايوس يؤكد وجود ضريح بطرس في الڤاتيكان.

والنصب الأول الذي شيّد تكريماً للرسول كان تنفيذاً لمشيئة قسطنطين الإمبراطور المسيحي الأوّل وذلك طبعاً في حدود 322م، بعد عشر سنوات من سلام براءة ميلانو. وظلت هذه الكاتدرائية سليمة بكليتها حتى القرن الخامس عشر، عندما ابتنى البابا نقولا الخامس محراب كنيسة أكثر فخامة. وفي 1506 أمر البابا يوليوس الثاني (Jules II) برامانت بهدم النصب ليبني من جديد ما سيصبح كاتدرائية ميكال آنج وبرنان (برنيني) الحالية.

ورغب البابا پيوس الحادي عشر، كالكثيرين من أسلافه في أن يُدْفَن في أقرب مكان من قبر بطرس. وتنفيذاً لهذه الرغبة، شرع خليفته پيوس الثاني عشر بالأعمال الضرورية. وقد كشفت هذه الأعمال عن بلاط أرضية كاتدرائية قسطنطين القديمة. وتحت هذه الأرضية عدد كبير من الأضرحة المسيحية وأخيراً مقبرة رومانية يعود تاريخها إلى القرنين الثاني والثالث.

وكشفت حملتان للتنقيب عن الآثار، الأولى من 1939 إلى 1949 والثانية من 1953 إلى 1958، عن معلومات مثيرة وهي أن مهندسي كاتدرائية قسطنطين، من أجل إنشاء قاعدة لبنائها اضطروا إلى أن يملأوا بالتراب ويقطّعوا بجدران دعم ضخمة منطقة لم تكن قد استعملت للمقبرة وأن يحفروا، في الوقت نفسه، قسماً من تلة الڤاتيكان، فلماذا قاموا بأعمال كهذه في مكان مقدس، وهو إلى ذلك غير ملائم بسبب التربة الصلصالية التي كانت بحاجة إلى جهود جبارة لتصريف المياه وإلى حفريات عظيمة في خاصرة الهضبة؟ لقد كانوا بغنى عن هذا المشهد لولا التقليد الثابت عن وجود قبر بطرس في مكان استشهاده.

وانكشفت الحفريات عن قبر فقير مسقوف بالآجر تحمل إحداها دمغة خاتم الإمبراطور ڤسپازيان (69 - 79). وينتشر على مقربة منه حطام قنديل من زجاج ملون بألوان قزحية ومُذهَّب على الطريقة المصرية تعود إلى العصر ذاته. هناك رفع نصب صغير في مقبرة الڤاتيكان حوالي سنة 160 ضمّه قسطنطين فيما بعد إلى البناء الذي شيّده تذكاراً لبطرس، النصب التذكاري الذي تحدث عنه الكاهن الروماني غايوس. وعثر، في حجرة صغيرة، على عظام وتراب ونثر من الجص الأحمر وبقايا من ثياب ثمينة وقطعتين من رخام. وفي حزيران/يونيو 1963 استطاع البروفسور ڤينيراندو كورّنتي (Venerando Correnti) بما له من خبرة، أن يحدد هوية القماش المصبوغ بالأرجوان الحقيقي والذهب الصافي والعظام التي تعود إلى شخص فرد مذكر قوي البنية يتراوح عمره ما بين ستين وسبعين سنة. وبموازاة ذلك تابعت عالمة الآثار مرغريتا غواردُتشي (Margherita Guarducci) الأعمال المعقدة لتحديد هوية النقوش المحيطة. وعلى هذين الأساسين أعلن البابا بولس السادس في 29 حزيران/يونيو 1976 بمناسبة عيد القديسيْن بطرس وبولس: «من حسن حظنا أننا توصلنا إلى هذه الحقيقة التي أعلنها سلفنا الجليل الذكر پيوس الثاني عشر وهي أن قبر القديس بطرس هو هنا في هذا المكان المبجّل حيث بنيت هذه الكاتدرائية الشهيرة التي خصصت له. لقد حصلنا على برهان لا يقبل الدحض وهو أن القديس بطرس جاء إلى روما لمواجهة النقد السلبي لبعض البحّاثة الذي يحدث دائماً بصمت وكان من حظنا أيضاً أن نتأكد من النتائج الإيجابية للأبحاث المتواصلة والعلمية حول تحديد هوية وحقيقة البقايا المقدسة المنسوبة إلى القديس بطرس، سمعان، بن يوحنا، الصياد الجليلي المتواضع، التلميذ وبالتالي الرسول؛ القديس بطرس الذي اختاره يسوع المسيح ليكون رئيساً لفريق تلاميذه الأوّلين الأكفياء وعيّنه أسّاً لهذا البناء والمسمّى كنيسة التي أعطاها عندما أسسها التأكيدات بأنها ستخرج سليمة معافاة من خصومتها الخفية مع قوى الظلام. إننا نرحّب بإجلال وفرح بنهاية هذا العمل الأثري الذي أثبت، بأدلة تاريخية

وعلمية جديدة، القناعة القديمة قدم الأجيال فيما يخص التكريم الذي يرفع لأمير الرسل، تأكيداً وطالع فأل لرسالته المأساوية ولكن الظافرة: وهي نشر اسم المسيح في التاريخ وفي العالم.

وقد سمح يوحنا بولس الثاني بمناسبة الذكرى الأولى لإنتخابه في 16 تشرين الأول/أكتوبر 1979 بدخول الحجاج إلى ضريح بطرس تحت مذبح الإعتراف. وأحيط الباب الذي استُحدِث بقياس 2,5 م بـ 2,3 م بمنحوتتين نافرتين من ضريح نقولا الخامس (1447 - 1455) وبملاكين، من ناووس أوربانوس الثامن (1378 - 1389) وبكتابة مختصرة جداً: ضريح بطرس الرسول المقدس.

وتصف الصفحات التالية الكاتدرائية المشيدة على هذا القبر، ثم محل إقامة البابا الذي بُني في جوارها مباشرة والذي أصبح منذ پيوس الحادي عشر مدينة حاضرة الڤاتيكان مع دوائرها. وتعرض الفصول التالية مجمل الإدارة الرومانية التي عرفت في العالم باسم الڤاتيكان: أمانة سر الدولة، الدوائر الرومانية، المحاكم، المجالس الحَبْرية، المصالح الإدارية، إدارة البيت الحبري، دائرة الإحتفالات الليتورجية وأجهزة أخرى متصلة بالكرسي الرسولي مع دليل صغير للڤاتيكان ومتاحفه.

الفصل الأول

كاتدرائية القديس بطرس

دفن بطرس، الذي قضى حوالي سنة 67 ضحية اضطهاد نيرون، في مكان قريب من مكان استشهاده على تلة الڤاتيكان. قبره المتواضع، يجتذب الحجاج، وأول تأكيد على ذلك جاء في حدود 333 على لسان الأسقف أوسابيوس القيصري الذي يتحدث عن «قبر تهرع إليه، كما إلى محراب وهيكل للرب، جموع لا تُعد من الإمبراطورية الرومانية بأسرها». ولم تتوقف هذه الحركة عن الإتساع على مدى الأجيال. ويحفظ لنا التاريخ ذكرى حماسية لزيارات القديس پولان دونول (Paulin de Nole) 399 وللقديس هيلير من آرل (Arles) 408. ويكتب پرودانس بأسلوبه الشعري في نهاية القرن الخامس: «إلى أين يهرع الناس جماعات محتشدة بهذا المنظر الإحتفالي؟ قل لي يا صاحبي، ماذا حدث لكي تزدحم شوارع روما بهذه الجماهير الغفيرة التي تصعِّد هتافات الحبور هذه؟ هذا اليوم هو ذكرى انتصار الرسل، إنه النهار الذي شرفه الدم الممجد لبطرس وبولس».

I ـ الكاتدرائية القسطنطينية

ابتنى الكاتدرائية الأولى الإمبراطور قسطنطين. واستناداً إلى العرف الروماني رُكِّز المذبح الأكبر على قبر الرسول الشهيد الذي تحول إلى محراب نصفه تحتأرضي. إنه المارتيريون (Martyrion) بالنسبة إلى اليونان، أي مكان الشهادة السامية التي أدّت إلى الإيمان بسفك الدماء. والرومان يسمونه الإعتراف، أي المكان الذي يرقد فيه رفات الذي اعترف بإيمانه،

شهادة ليسوع المسيح، بالإستشهاد الدامي.

ارتفعت الكاتدرائية القسطنطينية ذات الطراز الروماني الخالص فوق مذبح اعتراف بطرس وهي تتضمن خمسة أجنحة مقسمة إلى أربعة صفوف من أربعة وعشرين عموداً. وكان قوس النصر في الجناح الأكبر مغشّى بالفسيفساء مع صورة المسيح الممجد مشرفاً على الجمعية الطقسية (الليتورجية). وقد أحلَّ البابا سرجيوس (687 - 701) محلّها صورته الرمزية وهي الحمل المذبوح الذي تتحدث عنه الرؤيا. وقد أوعز الكردينال جيوكوموكايتاني دو ستيفانيشي، سليل عائلة بونيفاس الثامن، إلى جيوتو برسم المشهد الإنجيلي الشهير الخاص بزورق القديس بطرس الذي هو أيضاً سفينة الكنيسة ويدعى الزورق بالإيطالية (La Navicella). بطرس الصياد الجريء في بحيرة طبريا ولكنه الرجل القليل الإيمان، يكاد يغرق في البحر الهائج فيثبته يسوع بيده الممدودة إليه بقوة. وقد انتزعت فسيفساء جيوتو وأصلحت عدة مرات، وهي اليوم تزين مجاز الكاتدرائية.

وعلى مدى إثني عشر قرناً امتلأ الزورق الضخم الذي يصعد إليه الحاج بدرجات من حجر السماق (البورفير) والرخام بالكنوز الطائلة بالرغم من النهب والحرائق. وكانت الكاتدرائية كلما جردت من زينتها الثمينة من قبل القيزيقوط والڤاندال ترمّمها تقوى الأحبار الأتقياء وخاصة پلاجيوس الثاني في نهاية القرن السادس وغريغوريوس العظيم ثم لاون Léon الرابع حوالي 850. والزينة الأخيرة صنعت بمسعى من كاليكتس الثاني (1124 - 1119) وإينوڤنتيوس (Innocent) الثالث (1198 - 1216).

II ـ ساحة القديس بطرس وأعمدة برنان

وضع الحجر الأول في الكاتدرائية القسطنطينية البابا سيلڤستروس في 18 تشرين الثاني/نوڤمبر 326. وبعد ألف سنة تميزت بكثير من تقلبات الزمن أخذت صلابة البناء تثير متاعب خطيرة. وبرزت في مناخ نهضوي

فكرة بناء كاتدرائية جديدة على شرف أمير الرسل. وكان يوليوس الثاني هو الذي اتخذ المبادرة التي تابع تحقيقها باندفاع خلفاؤه بولس الثالث وسيكستوس الخامس وبولس الخامس. وقد تنافس على تنفيذ العمل خمسة مهندسين معماريين هم برامنت، ميكال آنج، جياكومو دِلاّ پورتا، مادرنو وبرنان. وقد كرّس أوربانوس الثامن الكاتدرائية الجديدة في 18 تشرين الثاني/ نوڤمبر 1626 ثلاثة عشر قرناً، يوماً بيوم، بعد الكاتدرائية الأولى. المهندس دوناتو لازّاري المدعو برامنت هو الذي وضع أسسها الأولى 1513. ثم بعد ذلك زاد بولس الخامس في طول الجناح لاستيعاب الاحتفالات الأكثر احتشاداً، وحوّل الصليب اليوناني إلى صليب لاتيني. وبسبب الحاجة إلى المال اختصرت طوابق الأعمدة التي تحمل القبة الأمر الذي شوّه منظر الكاتدرائية العام وحرم من الرشاقة والإندفاع القبة التي تلقي بكلكلها على الكنيسة العملاقة.

تظهر الكاتدرائية عند منطلق جادة المصالحة، التي شقت تذكاراً لتوقيع المعاهدة بين پيوس الحادي عشر وبنيتو موسوليني في 11 شباط/ فبراير 1929 وتفتح على ساحة القديس بطرس المهيبة.

وأعمدة برنان أجمل ما في الساحة من زينة. إنها تطل على أجمل كاتدرائية في الدنيا ـ 187 م طولاً و 150 م عرضاً بين طرفي ذراعي الصليب ـ مع فناء داخلي يليق بها. وأعمدة برنان هذه التي بنيت ما بين 1657 و 1667 بعدد 284 إسطوانة و 88 ركيزة و 140 تمثال قديس من الرخام، تستقبل الحجيج بمهابة فائقة وتدعوه إلى تسلق درجات المحراب لتأدية فروض الاحترام لأمير الرسل. طول ساحة القديس بطرس التي تحتضن الأعمدة بذراعيها 340 م وعرضها 240 م ولها من الإتساع ما يعطي انطباعاً بأنها توصل إلى أي شيء آخر غير أصغر دولة في العالم، أي دولة حاضرة الڤاتيكان حيث يخفق قلب المسيحية ويتقاطر الحجاج.

مع هذه الزينة الفخمة التي صنعها فنان موهوب تنسى النِّسبُ

المتناسقة الأبعادَ الحقيقية وهي: 3 أمتار لارتفاع التمثال و 18,6 م ارتفاع الأعمدة المصنوعة من حجر التراڤرتان (حجر من مدينة تيبور الإيطالية). ويشاهد حجر بيضوي الشكل مُنَزَّل في البلاط بين المسلة الوسطى والمنهلين يشير إلى المحل الأوسط حيث يتلاشى الصف المزدوج من الأعمدة في صف هائل من الأشجار. كاليغولا هو الذي أمر سنة 39 بنقل هذا الحجر الضخم من الرخام الذي يبلغ ارتفاعه 41,33 متراً ووزنه 312 طناً، من هليوبوليس في مصر إلى الملعب الذي دعي فيما بعد ملعب نيرون حيث مات بطرس مصلوباً. ونقله (البابا) سيكستس الخامس 1586 إلى وسط ساحة القديس بطرس، وتوّجه بصليب ضخم من حديد يحتوي على ذخيرة من الصليب الحقيقي، وعليه كتابة مختصرة تعلن: «هذا هو صليب السيِّد. توارَيْ أيتها القوى العدوَّة. لقد انتصر أسد قبيلة يهوذا، المسيح منتصر، المسيح يحكم، المسيح يأمر، ليَحْمِ المسيح شعبه من كل عدْوان».

وفي الساحة ينصبّ ماء المنهلين في حوضين من رخام أحدهما فوق الآخر، بعد أن يكون سقط من ارتفاع 14 م. وتتحول ساحة القديس بطرس، ملتقى الكاثوليكية، ساعة البث التلفزيوني إلى مشهد فخم مكيّف بشكل رائع للاحتفالات الطقسية في الساعات العظيمة من حياة الكنيسة. ورأى يوم الحادي عشر من تشرين الأول/ أكتوبر 1962 الموكب الرسمي لافتتاح المجمع المسكوني الثاني الڤاتيكاني بحضور 2000 أسقف بالغفارة والتاج الأبيض يتقدمون البابا المسن يوحنا الثالث والعشرين المتكوِّم على كرسي محمول. وفي كانون الأول/ ديسمبر 1965 اختتم (البابا) بولس السادس المجمع بتوجيه رسائل إلى العالم. وهناك دفن في 12 آب/ أغسطس 1968 وهناك دشن البابا يوحنا بولس الثاني خدمته الحبرية في 22 تشرين الأول/ أكتوبر بعد 33 يوماً من حبرية يوحنا بولس الأول متوجهاً إلى العالم بصوته الجهوري: «لا تخافوا، افتحوا، افتحوا الأبواب على مصاريعها للمسيح. وافتحوا لعظمته الخلاصية حدود الدول والأنظمة

الاقتصادية والسياسية والمجالات الحضارية والمدنية والتنموية الفسيحة. لا تخافوا. دعوا المسيح يخاطب الإنسان. هو وحده يملك كلمات الحياة الأبدية».

وفي أقصى الساحة درج عريض بشكل مصطبة يؤدي إلى الداخل يُرقى بواسطة منحدر لطيف في الوسط ومدعوم من كلا جانبيه باثنتين وعشرين درجة سلّم، وهو يوصل إلى الكاتدرائية. ويحيط به تمثالان ضخمان لبطرس وبولس، ويتحلق الرسل بمعية القديس يوحنا المعمدان حول المسيح الذي يشرف بقامته المديدة على الواجهة الفسيحة فوق كتابة على شرف البابا بولس الخامس بوغيز، حبر روما 1612 العام السابع من ولايته. طول الواجهة 115 م وارتفاعها 45 م. قطر الأعمدة 2,65 م. ارتفاع تماثيل المسيح والرسل 5,7 م: محيط الجرس المعلق تحت الساعة الكبيرة إلى الجانب الأيسر 7,5 م ويزن 9,3 أطنان. فناء مادرنو الداخلي قياسه 140م، من حواليه تمثالا خيَّالَين: قسطنطين، إلى اليمين، من جهة السلَّم الكاتدرائية (Scala Regia) وهو من عمل برنيني (1670)، وشارلمان إلى اليمين من صنع كورناتشيا (1725) وفسيفساء جيوتو (1290) موجودة منذ السنة المقدسة 1975 فوق المدخل الرئيسي.

III ـ أبواب الكاتدرائية

خمسة أبواب ضخمة تفتح على الداخل. الباب الأوسط زينه بالنقوش أنطونيو فيلاريت الفلورنسي 1445 بناء على أوامر البابا أوجينيوس الرابع. النقوش البرونزية البارزة التي ترتفع 6,42 م تمثل في أعلاها المخلّص والعذراء وتمثل نقوش الوسط بطرس مسلماً المفاتيح إلى أوجينيوس الرابع، وبولس حاملاً سيفاً. ودون ذلك، منظر استشهادهم ومشاهد من مجمع فلورنسا وتتويج الإمبراطور سيجيسموند. وباب آخر هو باب السنة المقدسة يفتح فقط لحفلات اليوبيل. أعلن أوّلها البابا بونيفاس الثامن 1300.

وإلى الجهة الشمالية باب الموتى خصصه بسر الموتى البشريين والمسيحيين جياكومو مانزو مواطن البابا يوحنا الثالث والعشرين وهما من مدينة برغامو الإيطالية. وقد دشنه البابا بولس السادس في 28 حزيران/يونيو 1964 ويبرز عليه في الجهة العليا الشمالية مشهد موت (أو رقاد) العذراء. وإلى الجهة اليمنى مشهد يمثل إنزال المسيح من على الصليب ودفنه في القبر. وفي الأسفل موت القديس يوسف وهابيل واستشهاد القديس اسطفانوس وموت البابا غريغوريوس السابع في المنفى وكارثة جوية هي عبارة عن موت أم. وأخيراً مشهد يمثل البابا يوحنا الثالث والعشرين جاثياً على الأرض متوقعاً موته القريب يصلي من أجل الكنيسة والمجمع ومن أجل السلام والبشرية جمعاء.

وإلى يمين الباب الأوسط دشن البابا بولس السادس في 12 أيلول/سبتمبر 1965 باب الأسرار وهو من صنع ڤينانزيو كروشتي ونقش النحّات إلى الجهة الشمالية من أعلى إلى أسفل أسرار العماد والتثبيت والتوبة، وإلى اليمين من أسفل إلى أعلى أسرار الإفخارستيا والزواج والكهنوت ومسحة المرضى. وفي منتصف الفناء الداخلي فسيفساء من البورفير (الحجر السماقي) المصري والرخام الوردي تخلد ذكرى افتتاح المجمع على يد يوحنا الثالث والعشرين في 11 تشرين الأول/أكتوبر 1962.

ويفتح باب القديسة مرتا، المطل على حاضرة الڤاتيكان، على ساحة القديسة مرتا التي أعطته اسمها، على شمال الكاتدرائية، تحت ضريح البابا ألكسندر السابع. وقد دشنه البابا بولس السادس بمناسبة الذكرى الخمسين لسيامته كاهناً في 28 حزيران/يونيو 1972. إنه باب الصلاة المزين بأربعة نقوش من صنع لِلّو سكورتسيلّي مخصصة للصلاة الربيّة (أبانا الذي في السماوات. . .) (متى 6: 9 - 13) وصلاة التبريك (تبارك الآتي باسم الرب. . .) (متى 9:21) ونشيد مريم (أو نشيد التعظيم: تعظّم نفسي الرب)

(لـوقـا 1:46 - 55) ونشيـد سمعـان (الآن أطلـق يـا رب عبـدك بسـلام. . .) (لوقا 2:29 - 32).

IV - برنيني وميكال آنج

يقترن الفن القديم والفن الحديث ليُدخِلانا إلى أكبر هيكل للمسيحية بناه أكثر من ألفي عامل يشرف عليهم مهندسون عباقرة صاخبون بقدر ما هم موهوبون أوّلهم النزق الطبع ميكال آنج المهندس الذي أصبح الرئيس المطلق الصلاحية إبتداء مـن أول كانون الثاني/يناير 1547 وقد أراد أن يشيد قبة أضخم وأفخم من القبة التي شيّدها غيبرتي[1] لكنيسة السيدة مريم العذراء في فلورنسا، وعند موته 1564 كان الدفّاف (رواق إسطواني مزدوج الباب) قد انتهى. وقد استطاع البابا سيكستوس الخامس أن ينجز بنشاطه الخارق خلال خمس سنوات هذه الأعمال الهرقلية الحقيقية: الإنتهاء من بناء القبة، نقل مسلّة كاليغولا، جر مياه بحيرة براتشيانو إلى منهلي الساحة على بُعد 23 كلم، اختراق مدينة روما بشوارع فسيحة وبناء قصر لاتران. وكـان فـونتـانـا المهنـدس والمعمـاري سـواء بسـواء المنفـذ العبقـري لهـذه التصاميم الجبارة التي أنهاها ابن أخيه شارل مادرنو. واستدعى البابا أوربانوس الثامن لورانزو برنيني ابن نابولي، صاحب الموهبة الخارقة والمخيلة الملتهبة القادرة على بعث الحياة في أكثر المواد جموداً. لقد اتخذ البرونز والرخام والحجر والجص بين يديه ليونة وحركة القماش المتموج المغضّن تبعاً لنزوات النسَّاج. وكان أروع أعماله قبة المذبح التي تعلو أكثر من عشرين متراً فوق المذبح الرئيسي المهدَّب بالذهب المطرز بسجف الحرير والمتوج بالصليب. أربعة تماثيل تحمل ركائز أساسية: القديسة ڤيرونيكا، القديس لونجان، القديسة هيلانة والقديس أندريه.

---

(1) Lorenzo Ghiberti: نحات وصائغ ورسام ومعماري إيطالي من فلورنسا (1455 - 1378 م. -

ويطلي برنيني المزخرفُ العجيب الجدران برخام كوتانِلاَّ الذي يعتبر لونه الأحمر الحار زينة مذهلة.

وأثناء حبرية البابا ألكسندر السابع يرصِّع هذا الفنان المدهش الكرسي المعتبر، لوقت طويل، كرسيّ بطرس، بكرسي من البرونز يحملها ملافنة (دكاترة) أربعة، من الكنيسة اللاتينية (أوغسطينوس وأمبرو سيوس) واليونانية (اثناسيوس ويوحنا فم الذهب). إنه مجد برنيني الذائع الصيت الذي يسوِّر المحراب بمشهد مهيب: سرب من الملائكة الساجدين حول الروح القدس الذي ترمز إليه حمامة بيضاء على زجاج توشحه أشعة ذهبية تنبعث من شمس تسطع من العالم الآخر. أما الكرسي المدعو كرسي بطرس المصنوع من خشب السنديان المرصع بالعاج هو عرش ملكي قدمه الإمبراطور شارل الأصلع (Charles le Chauve) بمناسبة تتويجه 875 للبابا يوحنا الثامن. تلك كانت 1969 خلاصات ما توصلت إليه اللجنة التي كلفها البابا بولس السادس بالتحقيق بصحة هذا الأثر التاريخي؛ وإذ أصبح الكرسي رمزاً لاستمرارية السلطة البابوية، فهو، من هنا، موضوع احترام المؤمنين منذ أكثر من ألف سنة.

إن أروع آثار الكاتدرائية هو، بلا جدال، في المصلى الأول إلى اليمين تمثال الشفقة[1] لميكال آنج. لم يكن للفنان سوى ثلاثة وعشرين عاماً من العمر عندما تلقى، في 26 آب/ أغسطس 1498، من الكردينال البنديكتي الفرنسي جان ڤيلييه (J. Villiers) من غروسلاي، أمر ملوك فرنسا بخصوص مصلّى القديسة پترونيل وكان جاكوپو سالدي الصيرفي الفلورنسي الوسيط بين سفير ملك فرنسا والنحات التوسكاني الفتى - وقد تعهد الفنان الذي تسلم مبلغ 450 دوكاً[2] ذهبية، بان يكون التمثال، أجمل عمل من رخام في روما.

---

(1) La pieta: تمثال من المرمر الصقيل يعتبر أكمل أعمال الفنان - م -.

(2) Ducat: نقد ذهبي في البندقية قديماً - م -.

وقد نفذ وعده. ومنذ 1749 وتمثال «الشفقة» في مكانه الحالي. وعندما قطعت اليد اليسرى للعذراء بوحشية بضربات انهال بها عليها مختل نمساوي - هنغاري الجنسية يدعى لاسلو توت (Lazlo Toth) وذلك في 21 أيار/ مايو 1972، كشفت أعمال ترميمها عن الحروف الأولى من اسم ميكال آنج التي ظلت خافية نحو خمسة قرون: وجد حرف م (M) مرسوماً على راحة الكف مع خطوط اليد. وقد أصلح تمثال «الشفقة» وأُضيء بطريقة ناجحة وهو الآن محمي بحاجز من زجاج مقاوم للرصاص.

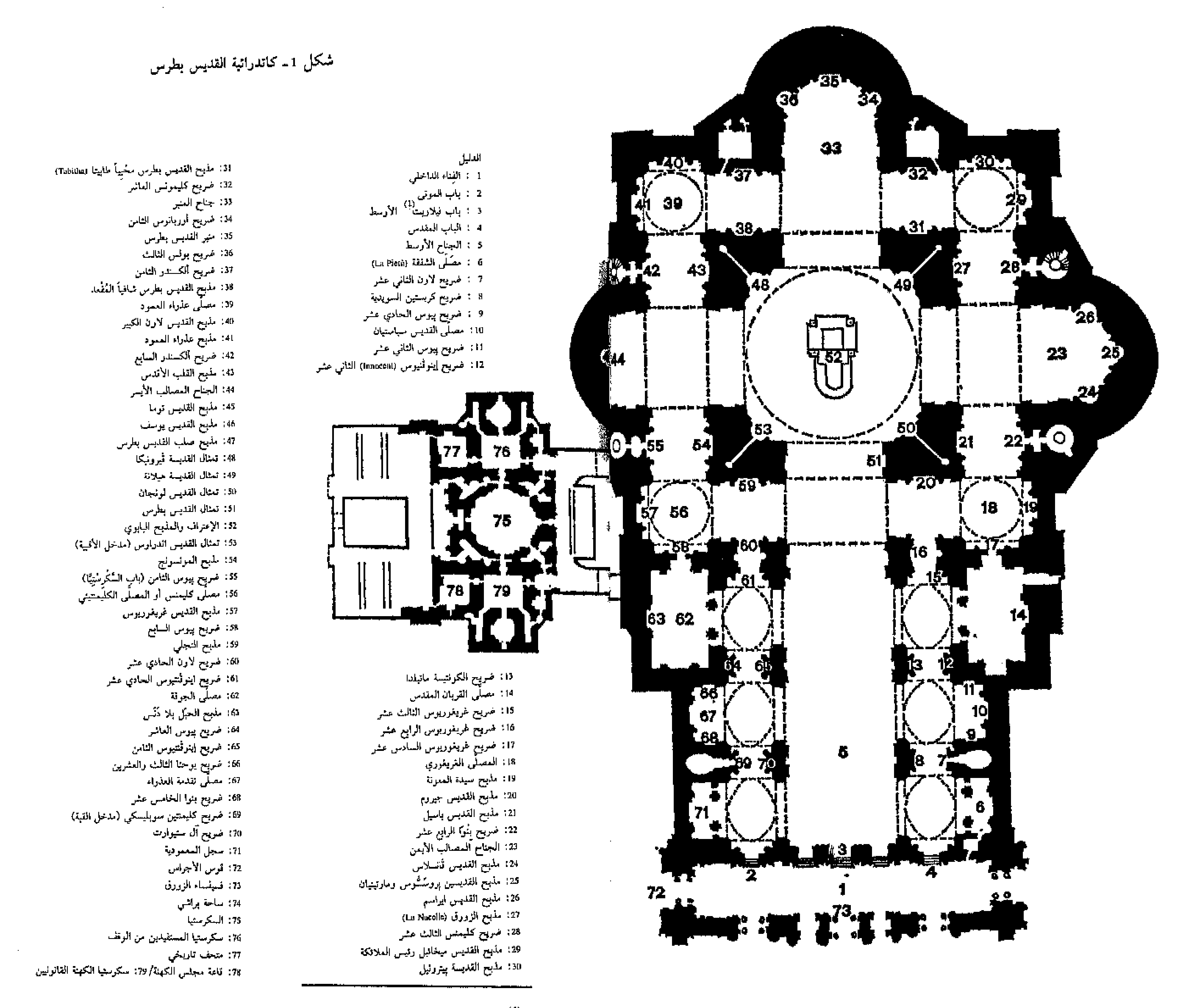
وعلى الإطار الداخلي للكاتدرائية حفرت بأحرف كبيرة كلمات السيد المسيح لبطرس كما وردت في الإنجيل «أنت الصخرة (Pierre) وعلى هذه الصخرة سأبني كنيستي[1]... لقد صليت من أجلك كي لا يضعف إيمانك. كن راعي خرافي... يشهد الهيكل (Il tempo) كما كان يقول رجال النهضة، على الجهد العنيد لعدد من البابوات والفنانين والمعماريين والعمال والنحاتين والبنائين الذين انحدروا من شمالي إيطاليا، وحرفيين رومانيين صغار ونجارين وحدادين وحبّالين وساحقي ألوان.

الشعور الطاغي هو شعور العظمة المتناسقة في حين أن الأبعاد عملاقة. إن أكبر الكاتدرائيات، مثل كاتدرائية ريمس، يتسع لها هذا البناء بسهولة تامة. وعناصر هذا التزيين الفخم هي مع ذلك بسيطة جداً، صف من الأعمدة الجدارية الناتئة تحمل في مشاكيها التماثيل. والسرادق البرونزي ذو الأعمدة الحلزونية فوق مذبح الإعتراف تضيئه قبة غير منظورة فوق المذبح البابوي. وصدر الكنيسة يتألق بالنور الذهبي المتدفق من «مجد» برنيني والتماثيل التي يتراوح ارتفاعها بين 4 م و 5 م والتي تزين الأعمدة الأساسية، واحد من أعلى وآخر من أسفل، يزن كل واحد أكثر من 20 طناً. إنها تماثيل صنعت عمداً لكبار مؤسسي الرهبانيات والأخويات

---

(1) Tu es Petrus et super hanc petram œdificabo Ecclesiam meam.

شكل 1 ـ كاتدرائية القديس بطرس



الدليل

1 : الفناء الداخلي
2 : باب الموتى
3 : باب فيلاريت[1] الأوسط
4 : الباب المقدس
5 : الجناح الأوسط
6 : مصلى الشفقة (La Pietà)
7 : ضريح لاون الثاني عشر
8 : ضريح كريستين السويدية
9 : ضريح بيوس الحادي عشر
10 : مصلى القديس سباستيان
11 : ضريح بيوس الثاني عشر
12 : ضريح إينوشنتيوس (Innocent) الثاني عشر
13 : ضريح الكونتيسة ماتيلدا
14 : مصلى القربان المقدس
15 : ضريح غريغوريوس الثالث عشر
16 : ضريح غريغوريوس الرابع عشر
17 : ضريح غريغوريوس السادس عشر
18 : المصلى الغريغوري
19 : مذبح سيدة المعونة
20 : مذبح القديس جيروم
21 : مذبح القديس باسيل
22 : ضريح بِنُوا الرابع عشر
23 : الجناح المصالب الأيمن
24 : مذبح القديس ڤنسلاس
25 : مذبح القديسين بروسِّسُوس ومارتينيان
26 : مذبح القديس ايراسم
27 : مذبح الزورق (La Navicella)
28 : ضريح كليمنس الثالث عشر
29 : مذبح القديس ميخائيل رئيس الملائكة
30 : مذبح القديسة بيترونيل
31 : مذبح القديس بطرس محْيياً طابيتا (Tabitha)
32 : ضريح كليمونس العاشر
33 : جناح المنبر
34 : ضريح أوربانوس الثامن
35 : منبر القديس بطرس
36 : ضريح بولس الثالث
37 : ضريح ألكسندر الثامن
38 : مذبح القديس بطرس شافياً المُقْعد
39 : مصلى عذراء العمود
40 : مذبح القديس لاون الكبير
41 : مذبح عذراء العمود
42 : ضريح ألكسندر السابع
43 : مذبح القلب الأقدس
44 : الجناح المصالب الأيسر
45 : مذبح القديس توما
46 : مذبح القديس يوسف
47 : مذبح صلب القديس بطرس
48 : تمثال القديسة فيرونيكا
49 : تمثال القديسة هيلانة
50 : تمثال القديس لونجان
51 : تمثال القديس بطرس
52 : الإعتراف والمذبح البابوي
53 : تمثال القديس اندراوس (مدخل الأقبية)
54 : مذبح المونسونيج
55 : ضريح بيوس الثامن (باب السَّكْرِسْتِيّا)
56 : مصلى كليمنس أو المصلى الكليمنتيني
57 : مذبح القديس غريغوريوس
58 : ضريح بيوس السابع
59 : مذبح التجلي
60 : ضريح لاون الحادي عشر
61 : ضريح إينوشنتيوس الحادي عشر
62 : مصلى الجوقة
63 : مذبح الحبَل بلا دَنَس
64 : ضريح بيوس العاشر
65 : ضريح إينوشنتيوس الثامن
66 : ضريح يوحنا الثالث والعشرين
67 : مصلى تقدمة العذراء
68 : ضريح بنوا الخامس عشر
69 : ضريح كليمنتين سوبليسكي (مدخل القبة)
70 : ضريح آل ستيوارت
71 : سجل المعمودية
72 : قوس الأجراس
73 : فسيفساء الزورق
74 : ساحة براشي
75 : السكرستيا
76 : سكرستيا المستفيدين من الوقف
77 : متحف تاريخي
78 : قاعة مجلس الكهنة/ 79: سكرستيا الكهنة القانونيين

(1) مهندس معماري وصانع تماثيل برونزية إيطالي (1400 - 1469).

الدينية مثل: أغناطيوس دو لويُولا، تريز داڤيلا، ڤنسان دو پول، كميل دو لِلي (C. de Lellis)، دومينيك دو غاسمان، فرنسيس الأسّيزي، ماري - أوفرازيا پيلّيتيه (M.E. Pelletier) و مادلين - صوفيا بارات.

وعلى العمود الأخير على يمين الجناح وضع على عرش من الرخام التمثال البرونزي الشهير للقديس بطرس القبلة المفضلة لاحترام المؤمنين الذين بَرَوا رجله اليمنى لكثرة التقبيل. والتمثال صنع في القرن الثاني عشر وتشاع نسبته إلى أرنولفو دي كامبيو ويفسر طابعه القديم بأن الفنان استوحى عمله من تمثال رخامي أقدم منه كان فيما مضى موضوعاً على باب الكاتدرائية وهو حالياً موجود في أقبية الڤاتيكان.

ويُنشد الصرح مجد الله وعظمته في الخلق والفداء بيسوع المسيح الذي كان بطرس وخلفاؤه خدامه خلال القرون الآهلة بالشهداء والقديسين. من التماثيل التي تزين الصرح إلى الرسوم التي تزخرف داخل القبة يتأكد في كل مكان هدف تمجيد المخلص، وتعظيم كنيسته وأحباره. وتترك تقنية الأقواس وعقود القبب قليلاً من المكان للزخرفة وقد استخدم الفنانون أقل المساحات المتاحة. فأثبتوا الفسيفساء عند مسقط العقود فوق روافد المذبح مع زخارف مدهشة من معجون المرمر. هذا المزيج المصنوع من كلس ورمل ومسحوق الرخام يلائم أنواع الزهر والحيوان كما يلائم كل (الزخرفة العربية) التي ابتدعتها مخيلة المزخرفين الموهوبين.

V - قبور البابوات
الأقبية الڤاتيكانية

وعبر الصرح بكامله، تواكب طغمة من الملائكة الرسل والشهداء وملافنة (علماء) الكنيسة ومؤسسي الرهبانيات والبابوات. إن أضرحة آخر الأحبار صُفَّت كالتالي: ضريح پيوس الحادي عشر من صنع فرنسيسكو ناغني (1965) وضريح پيوس الثاني عشر من صنع فرنسيسكو مسّينا (1964)

وضريح يوحنا الثالث والعشرين من عمل أميليو غريكو (1967). من بين البابوات المدفونين هناك كثيرون هم الذين طبعوا التاريخ بطابعهم الخاص. فـالقـديـس لاون الكبيـر (440 - 461) قـاوم غـزوة أتّيـلا وعقـد المجمـع الخلقيدوني. وتعاليم القديس غريغوريوس العظيم (590 - 605) وسمت القرون المسيحية، مثل الطقوس (الليتورجيا) التي تحمل اسمه وهو الذي نظم النشيد الغريغوري العديم المثال. وطالب بونيفاس الثامن (1303 - 1294) بسيادة السلطة الروحية على السلطة الزمنية. والبابا سيكستوس الرابع (1471 - 1484) شيد داخل الڤاتيكان المصَلّى الشهير المعروف باسمه، سكستين، حيث ينعقد مجمع الكرادلة لانتخاب البابوات. وغريغوريوس الثـالـث عشـر (1572 - 1585) أصلـح التقـويـم الـذي اتخـذ اسمـه (التقـويـم الغريغوري). القديس إينوقنتيوس (Innocent) الحادي عشر (1676 - 1689) وقف بصلابة ضد ادعاءات لويس الرابع عشر الغاليكانية. وپيوس السابع (1800 - 1823) جابَهَ ناپوليون بقوة، والقديس پيوس العاشر (1903 - 1914) هو الذي نظّم المناولة الأولى للأولاد. والبابا بِنْوَا الخامس عشر (1914 - 1922) حاول أن يتدخل بين المتقاتلين في الحرب العالمية الأولى التي اعتبرها حـربـاً أهليـة أوروبيـة. وسـوّى البـابـا پيـوس الحـادي عشـر (1922 - 1939) المسألة الرومانية موقِّعاً اتفاقات لاتران والمعاهدة (كونكوردا) مع إيطاليا وأسس دولة حاضرة الڤاتيكان. كان پيوس الثاني عشر بابا الحرب العالمية الثانية والرسائل البابوية الشهيرة. والبابا يوحنا الثالث والعشرون (1963 - 1958) دعا إلى المجمع المسكوني الڤاتيكاني الثاني. وكان بولس السادس (1963 - 1978) بابا الأسفار الرسولية العظيمة وإصلاح الإدارة البابوية الرومانية. والبابا يوحنا بولس الأول (آب/ أغسطس ـ أيلول/ سبتمبر 1978) ترك أثراً متوهِّجاً في الطِّيبة الرسولية. . .

إجمالاً 147 من أصل 256 بابا دفنوا في أقبية الكاتدرائية وسبق لي أن قلت إنه بفضل يوحنا بولس الثاني استُحْدث مدخل مباشر إلى الأقبية إنطلاقاً من مذبح الإعتراف. والبابا پيوس الثاني عشر أعاد إليها شكلها

القديم. فغدت تشبه كنيسة فسيحة تحت الأرض ذات ثلاثة أجنحة جمعت فيها نواويس قديمة وستة مذابح من القرن الخامس عشر. مذبح الجناح الأوسط مخصص للمسيح المعظم وإلى جانبيه الأنجيليون الأربعة. في المقدمة حل تمثال للبابا پيوس السادس من صنع كانوڤا محل تمثال قديم لبطرس وضع قرب مخرج الكهوف. القسم الأسفل منه حتى العنق هو عمل روماني من الربع الأول من القرن الثالث. والرأس الحالي يمثل، إلى جانب بعض خصائص النحت القديم التي تعيده إلى القرن الرابع، يمثل بعض العناصر التي يرجع تاريخها إلى أواخر القرن الوسيط.

وتحت الأقبية الڤاتيكانية تمتد منطقة الحفريات التي شرع بها البابا پيوس الثاني عشر والتي أصبحت جاهزة لاستقبال الزوار بأعداد قليلة تحت إشراف أدِلاّء واختصاصيين. من جهة أخرى وانطلاقاً من جناح الكاتدرائية الأيسر يفتح المدخل إلى السَّكْرِسْتِيّا (غرفة الألبسة الكهنوتية) الضخمة مع الممر الذي يوصل إلى كنز القديس بطرس المفتوح أمام الزائرين. ومصعد كهربائي كذلك يقود إلى القبة. ومن أعلى، أي على ارتفاع 120 م فوق روما يقع نظرنا على مشهد إجمالي رائع لحدائق الڤاتيكان وساحة القديس بطرس والمدينة الخالدة وخاصة حاضرة الڤاتيكان التي بنيت شيئاً فشيئاً إلى جوار الكاتدرائية مباشرة كمحل إقامة للبابا. ومساعدوه المباشرون لهم مكاتبهم هناك بينما مجموعة هندسية مهيبة تضم متحفات الڤاتيكان. وكل ذلك قد دوِّن في بيان الأونيسكو كتراث فني إنساني.

الفصل الثاني

حـاضـرة الڤـاتيكـان

كان الڤاتيكان في بداية عهده مدفن الرسول بطرس الذي دفن حيث استشهد في ملعب نيرون. ثم تحول بعد ذلك إلى كاتدرائية شيَّدها قسطنطين فوق نصب صياد الجليل وأخذت تتجمّل منذ ذلك الحين. وأخيراً أعاد البابوات وفنانو النهضة بناءها. ولكن الڤاتيكان أصبح أيضاً، على مقربة من كاتدرائية القديس بطرس، محل إقامة خلفائه.

I ـ من لاتران إلى الڤاتيكان، عبر أڤينيون

ولم يكن الأمر دائماً كذلك، لقد أقام البابوات، حتى رحيلهم إلى أڤينيون، في أبنية ملحقة بقصر آل لاتراني قرب كاتدرائية القديس يوحنا اللاتراني، كاتدرائية أبرشية روما التي دعيت منذ زمن سحيق أمّ جميع كنائس المدينة والعالم وسيّدتها. فبين سنتي 1123 و 1517 التأم فيها خمسة مجامع دعيت لهذا السبب مجامع لاتران. ولما كانت الإقامة البابوية، بالنسبة إلى الڤاتيكان، في الجهة الأخرى من المدينة، دعت الحاجة في وقت مبكر، إلى استخدام بعض الحجرات، في جوار كاتدرائية القديس بطرس مباشرة، وضعت بتصرف أسقف روما الذي جاء مع حاشيته ليحيي الاحتفالات الليتورجية في كنيسة الڤاتيكان. وكان ذلك نقطة الإنطلاق لقصر الڤاتيكان الحالي. وظل صرحاً إمبراطورياً مميّزاً بأصوله ومؤلّفاً من أبنية أضافها إليه البابوات المتتابعون تبعاً لحاجات العصر والقدرات المالية: إنه باختصار نقيض قصر ڤرساي!.

وابتنى البابا لاون الرابع (847 - 855) معقلاً حقيقياً ليرد عن سور الڤاتيكان غزوات البرابرة. وكانت الحاضرة اللاونية المدعّمة بأربعة وعشرين برجاً. وتتابعت منذ ذلك الحين الأبنية على تلة الڤاتيكان. وما يبعث على الدهشة أنها كانت كلها مدينة لبابوات يحملون الرقم ثلاثة: أوجينيوس الثالث (1145 - 1153)، كليمنس الثالث (1187 - 1191)، سيلستينوس الثالث (1191 - 1198)، اينوقنتيوس الثالث (1198 - 1216) نقولا الثالث (1277 - 1280). وللمرة الأولى عقد مجلس الكرادلة في الڤاتيكان لانتخاب البابا بنوا الحادي عشر. ولكن البابا أقام حينئذٍ في لاتران قبل أن يلتجىء إلى أڤينيون، في تلك الأيام المضطربة على ضفاف التيبر.

وبعد سبعين سنة فقط من الإقامة في أڤينيون - سبي بابل الجديد بالنسبة إلى الرومانيين - عاد البابا إلى روما حيث احترق قصر لاتران، فأقام غريغوريوس الحادي عشر (1377 - 1378) وخلفاؤه في الڤاتيكان، الذي ظلّ عندئذٍ محل إقامة البابوات. وعندما فضَّل أُسقف روما الجوار المباشر لكاتدرائية القديس بطرس على الإقامة لأكثرمن ألف عام في لاتران كان يعبر بوضوح عن استمرارية المهمّة الموروثة عن أول الرسل.

II - الصرح البابوي

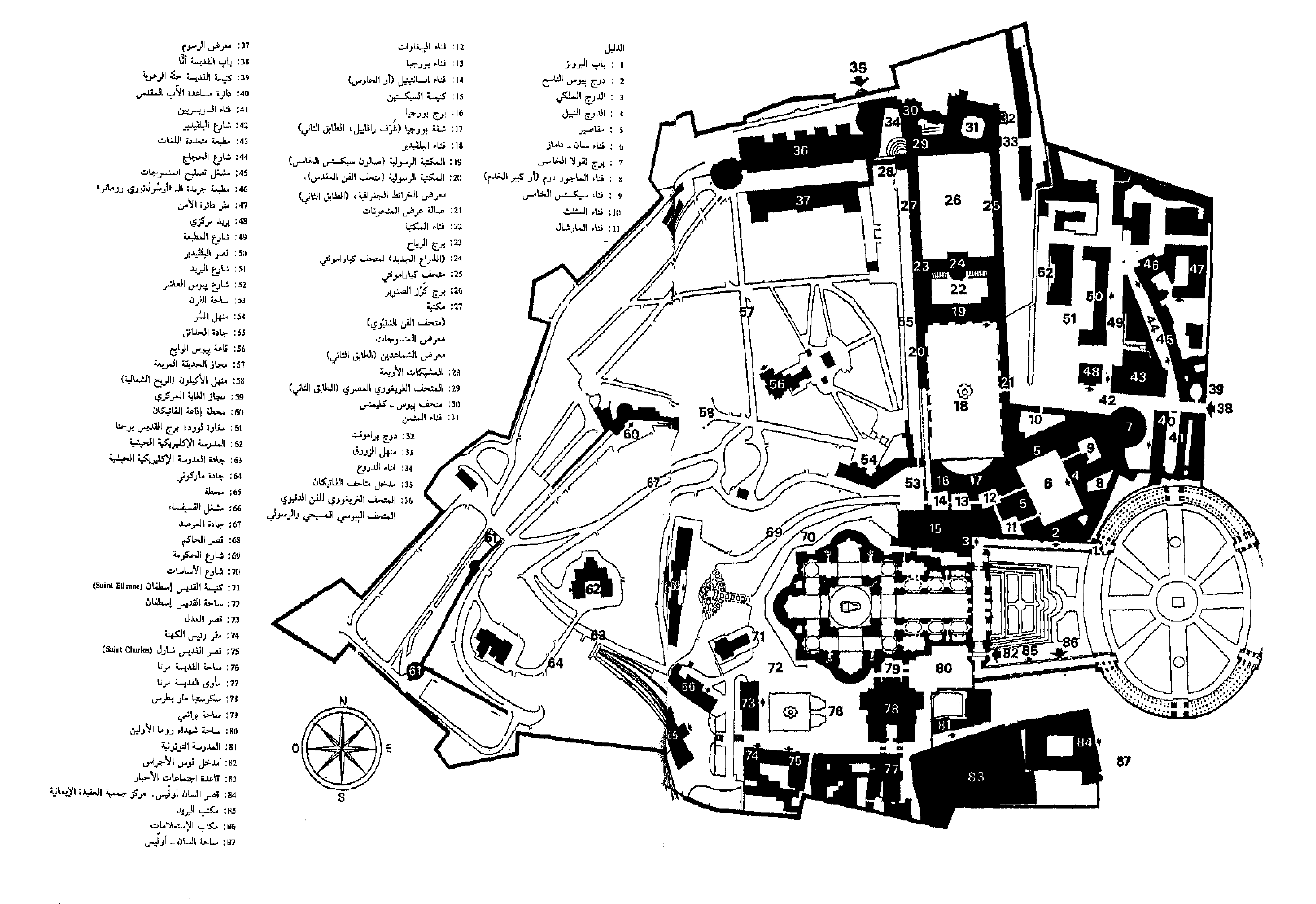
بعد محنة الإنقسام الكبير، تألّقت النهضة بكل أنوارها. والفنانون الفلورنسيون الذين اجتذبهم البابوات أنصار النهضة استقروا في روما. إنهم هم الذين خلعوا على الڤاتيكان هذا المنظر الذي نعرفه له اليوم. فوسط القصر مؤلف من مربّع، فناء سان - داماز الذي أوعز بصنعه البابا نقولا الخامس (1447 - 1455). ويزخرف رسَّامُهُ المفضّل، فرا أنجليكو، مكتبه المعروف اليوم باسم كنيسة نقولا الخامس، الذي يمكن الوصول إليه من طريق زيارة المتاحف مثل كنيسة السيكستين. صفَّان من الجدرانيات الواحد فوق الآخر مخصصان لحياة وموت الشمَّاسَين إسطفان ولوران. إن سيكستُس الرابع، المنتخب 1471 هو الذي أمر بتشييد كنيسة السيكستين

الذائعة الصيت التي اشتهرت بفضل مجامع الكرادلة التي تعقد فيها، أمام لوحة «الدينونة الأخيرة» المعروفة بتحفة ميكال آنج، من أجل انتخاب البابوات.

وفي الوقت نفسه بدأ نقولا الخامس بتجميع العناصر الأولى لما سيصبح، بتأثير حاسم من البابا سيكستس الرابع مكتبة الڤاتيكان الشهيرة. وأوعز البابا إينوقنتيوس الثامن (1484 - 1493) بأن يبنى له، على طرق الحدائق وعلى بُعد 300 م من محل إقامة البابوات ڤيلاً توفر له منظراً جميلاً ومناخاً منعشاً عذباً في حر الصيف القاسي. فوصلها خلفاؤه بقصر نقولا الخامس، صانعين بذلك ساحة بلڤيدير، التي انتهت بإعطاء هذه الأبنية منظرها الحالي. وأمر ألكسندر السادس (1492 - 1503) بزخرفة مساكن آل بورجيا بيد الفنان پنتوريكشيو (Pintoricchio) والشقة القائمة فوق شقة البابا بورجيا زخرفها رافاييل: هذه هي الغرف والمقصورات التي تثير إعجاب الحجاج والزوار من مختلف أنحاء العالم. وتعتبر زيارة كنيسة سيكستين من اللحظات الأساسية لاكتشاف الڤاتيكان من الداخل.

ولما أطلق البابا بولس الثالث في 1535 على ميكال آنج لقب مهندس معماري أول ونحّات ورسّام القصور المقدسة في هذا العمر المتقدم الذي لم يخفف بشيء زخم عبقريته، أتمّ مجده بأن أضاف إلى جدرانيات شقق السيكستين ورسوم قبة الكاتدرائية لوحة الدينونة الأخيرة في حين كان يكمل فناء البلڤيدير وزخرفة كنيسة پولين. وسميت هكذا تيمناً باسم بولس الثالث (1534 - 1549)، ألكسندر فارنيز ـ الذي أمر بتشييدها، ولم تفتح كنيسة پولين أمام الزوار. إنها مكان صلاة موظفي الڤاتيكان وهم داخل الصرح ولكنهم داخل الڤاتيكان كانوا يصلون في كنيسة القديسة أنّا الرعوية الصغيرة. وأجمل زخرفة في كنيسة پولين جدرانيتان لميكال آنج هما: إلى اليمين: صلب القديس بطرس، وإلى الشمال: منظر القديس بولس ساقطاً أرضاً على طريق دمشق. ومن هذه الكنيسة ينطلق موكب الكرادلة ليدخلوا

شكل 2 ـ حاضرة الڤاتيكان



إلى المجمع في كنيسة السيكستين، مجتازين القاعة الملكية التي تصل بينهما. وفي مؤخرة كنيسة پولين مصعد كهربائي سرّي يتيح النزول مباشرة إلى كاتدرائية القديس بطرس.

وتميزت حبرية أوغو بونغوپاغني (Ugo Bongopagny) الذي حكم تحت اسم غريغوار الثالث عشر (1572 - 1585) ببناء الذراع الثاني لفناء سان ـ داماز، الذراع الداخلي. وأمر بين 1578 و 1580 بتشييد برج الرياح الذي يحتوي على المرصد البابوي المرتبط به إصلاح الروزنامة وقد انتهى العمل منه 1582. وكانت اجتماعات علماء الفلك تعقد في هذا الفناء. نُقل المرصد فيما بعد إلى القصر الصيفي الخاص بلاوُن الثالث عشر غير البعيد عن البرج. وفي عهد پيُّوس الحادي عشر نقل إلى المقر البابوي كاستيل غاندولغو حيث زُوِّد بأجهزة حديثة وأضيف إليه مختبر للفيزياء الفلكية.

والذراع الثالثة لفناء سان ـ داماز هو من صنع سيكستس الخامس (1585 - 1590) وهذه الذراع وحدها تشكل قصراً تشرف واجهته الضخمة على ساحة القديس بطرس وقد أصبح مألوفاً لدى مئات الملايين من المشاهدين بفضل التلفزيون العالمي (Mondiovision) الذي يعرض أدق التفاصيل في أعياد الميلاد والفصح كما في أثناء الأحداث الخطيرة من حياة وموت البابوات. فهناك يقيمون مع الكردينال أمين سر الدولة في قصر سيكستس الخامس الذي يعلوه طابق شيد بسعي من البابا الفلورانسي كليمنس الثامن (1592 - 1605)واسمه الأصلي Ippolito Aldobrandini. وهو البابا عينه الذي شيد القاعة المسمَّاة كليمنتين لهذا السبب كما شيد قاعة اجتماعات الكرادلة (Consistoire) ذات السقف الخشبي المذهب والمحفور. وهما أكبر قاعتين في قصر سيكستس الخامس حيث يستقبل البابا غالباً الوفود التي تطلب مقابلته. يمكن الوصول إليهما عبر باب البرونز بواسطة درج پيوس التاسع وفناء سان ـ داماز. أنجز هذا المدخل مارتينو ـ فِرَّابوسكو (M. Ferrabosco) وجيوڤاني ڤاسنزيو (G. Vasanzio

تحت إشراف المهندس المعماري مادرنو وحبرية البابا بولس الخامس Camille Borghèse) 1619. إن مصراعي باب البرونز الشهير للسبّاكَيْن أورازيو سنسوري وفرانسيسكو بلترامِللي، أثبتهما في مكانهما المهندس برنيني 1677 واصلاً بين طرف صف من الأعمدة والصرح البابوي. والدرج الذي يصعد من باب البرونز إلى قاعة سانغالّو الملكية، الدرج الملكي، هو من أعمال برنيني الذي شيده ما بين 1663 و 1665 وزخرف رافابيل وتلاميذه مقاصير برامانت التي تحيط بفناء سان داماز.

وجمع بابوات النهضة من مناصري العلماء الكثير من الأعمال الفنية وألّفوا مجموعات ثمينة من المخطوطات وأسّس سيكستس الرابع، البابا البنّاء، المكتبة الڤاتيكانية. وكانت المبادرة موضع احتجاج من الناحية الجمالية لأنها فصلت نهائياً رؤية الفناء الجميلة عن البلڤيدير. والبابا نفسه عهد إلى جياكومو دِلاّ پورشا إنجاز قبة ميكال أنج العجيبة ونصب في وسط ساحة القديس بطرس مسلة كاليغولا وانتهى بعمله هذا إلى إعطاء الڤاتيكان، بشكل أساسي، منظره المألوف لدينا.

ومنذ القرن الثامن عشر حتى أيامنا، أضيف القليل من العناصر الشهيرة إلى مجموع ابنية الڤاتيكان. إنها خاصة المتاحف التي تنمي مجموعاتها من التحف الثمينة. وأنشأ پيوس السابع معرض الرسوم وصالة المنحوتات التي شيدت لأجلها من جانب إلى آخر من ساحة البلڤيدير وبموازاة مكتبة سيكستس الخامس، ذراع جديدة لا تزال تسمى إلى اليوم الذراع الجديدة (Braccio Noovo) وتخبّىء قبة ميكال آنج، وراء صرح الڤاتيكان، التلة التي ترتفع قمتها، خلف مسلة الكاتدرائية، إلى 77,3 م انطلاقاً من الساحة التي ترتفع 19 م عن سطح البحر. والحدائق الخضراء تغطي المنحدرات مع عدد قليل من الأبنية التي تحيط بها الجدران اللاوُنِيَّة، وراء ساحة القديس بطرس ذات الأعمدة. وتحتضن هذه الحدائق المقر الصيفي للاوُن الثالث عشر (1878 - 1903) الذي كان البابا يلجأ إليه

هرباً من حر روما، كما تحتضن هيكل مادونا دِلاّ غوارديا الصغير الذي شيّده بنوا الخامس عشر (1914 - 1992) تذكاراً للهيكل الجَنَوي الذي يحمل الإسم ذاته والذي كان زائره الورع.

III ـ اتفاقات لاتران ودولة حاضرة الڤاتيكان

يجب انتظار توقيع اتفاقات لاتران بين پيوس الحادي عشر وموسوليني وتأسيس دولة حاضرة الڤاتيكان، تبعاً لنصوص المعاهدة بين إيطاليا والكرسي الرسولي، لنرى تكيّف هذه المجموعة العريقة في التاريخ. بعد أن تجاهلت السلطات المدنية الكنيسة ثم اضطهدتها وألغتها، عادت فرأت عصراً جديداً يفتح أمامها مع براءة نانْت 313. وعندما منح قسطنطين البابوية وجوداً قانونياً سمح لها باقتناء الأملاك. ومنذ القرن الخامس أصبحت موروثات الكرسي الرسولي تشكل مجموعة ذات شأن. وبعد أن أصبح غريغوريوس الثاني مدافعاً عن حقوق المواطنين مارس في روما سلطة القضاء الأعلى منذ 726. وعندما تَوَّج أسطفان الثاني (752 - 757) پيپان لوبريف (Pépin le Bref) ملكاً اعترف هذا للبابا بالسلطة الزمنية التي كرّسها شارلمان عندما تُوِّج امبراطوراً بيد البابا لاون الثالث في عام 800. وعرفت العطاءات الكارولنجية فيما بعد زيادات جديدة، عبر التقلبات القروسطية، حتى أصبحت الدول البابوية، المسماة أيضاً دول الكنيسة، وكان عدد سكانها 1859 يبلغ 3.124.688. لأن البابا كان قد استعاد في مؤتمر ڤيينا دُوَله التي كانت الثورة والإمبراطورية قد انتزعتاها منه. وكان التحقيق المتطور لوحدة إيطاليا السياسية هو الذي حتّم انتزاعها منه من 1859 إلى 1870: هذه الدول هي: رومانية (La Romagne) والمارش (Les Marches) وامبريا (L'Ombrie) ولاتيوم (Le Latium). وقد ميز انتزاع غاريبالدي روما في 20 سبتمبر/ أيلول 1870 نهاية السلطة الزمنية للبابوات.

غير أن فرق الجيش الإيطالي كانت تتحاشى دخول مدينة لاون القديمة المحصورة ضمن جدران بناها بولس الثالث وپيوس الرابع وپيوس

الخامس وأوربانوس الثامن ما بين 1540 و 1640. ولكن پيوس التاسع يرفض قانون الضمانات التي عرضها عليه ملك إيطاليا الجديد في 23 آذار/مارس 1871 مقترحاً عليه زيادة على صرح الڤاتيكان واللاتران وقصور كاستل غاندولغو ريعاً غير قابل التنازل عنه ولا يمكن تخفيضه ولا التصرف به مدوناً في سجل الدَّين العام. ولم يشأ پيوس التاسع أن يعترف بهذا الإختلاس كأمر واقع. وتشبث خلفاؤه لاون الثالث عشر وپيوس العاشر وبنوا الخامس عشر بهذا الرفض ذاته، وأصبح البابا لعدة أجيال سجين الڤاتيكان. وكان پيوس الحادي عشر هو الذي وضع حدّاً لهذا الوضع بتفاوضه مع موسوليني حول إتفاقات لاتران التي وقعها في 11 شباط/فبراير 1929 الكردينال غاسپارّي أمين السر ورئيس الوزراء موسوليني بالنيابة عن البابا پيوس الحادي عشر والملك ڤكتور ـ إيمانويل الثالث. ونشر الخبر في جريدة الكرسي الرسولي «الأوسِّر ڤاتوري رومانو» بهذه العبارات: «اليوم، ظهراً، وفي قاعة البابوات في قصر لاتران البابوي، وُقِّعت معاهدة بين الكرسي الرسولي وإيطاليا: ومع المعاهدة وقع اتفاق مالي ملحق».

ومقدمة الإتفاق ذات دلالة: «بما أنه من أجل تأمين الإستقلال المطلق والمرئي للكرسي الرسولي، يجب أن تؤمَّن له سيادة لا تقبل الجدل حتى على الصعيد الدولي، أُخِذ في الحسبان أنه من الضروري أن تؤسس، بشروط خاصة، دولة حاضرة الڤاتيكان، معترفاً للكرسي الرسولي، على هذه الحاضرة بالذات، بالسيادة المانعة المطلقة وبالسلطة القضائية العليا.»

وفي يوم التوقيع بالذات، علق البابا پيوس الحادي عشر معلناً لكهنة روما أنه طلب أقل الضروري.

«بما أن سيادة ما على أرض هي الشرط المعترف به عالمياً كأمر ضروري لكل سيادة قضائية حقيقية: أي على الأقل فسحة من الأرض كافية كمرتكز للسيادة، وبدون هذه الفسحة لن تتمكن السيادة من العيش لأنه لن يكون لها ما تستقر عليه.»

واكتملت المعاهدة باتفاق مالي. يتلقى الكرسي الرسولي من إيطاليا 750 مليون لير وسندات بفائدة 5٪ على قيمة اسمية مقدارها مليار لير كتعويض عن خسارة الدول البابوية وأملاك الكنيسة. لقد نشأت المسألة الرومانية بالعنف وكانت تسويتها سعيدة ونهائية. اكتسبت دولة جديدة وجوداً معترفاً به دولياً في مجموعة الأمم، وفتحت صفحة جديدة في التاريخ الألفي للڤاتيكان.

واستناداً إلى كلام البابا پيوس الحادي عشر بالذات فإنه اكتفى حقاً بأقل القليل، متخلياً تلقائياً وقبل عدة ساعات من التوقيع، عن بعض قطع من الأرض داخل حدود الدولة الجديدة، مثل قصر (سان ـ أوفيس - Saint Office) ومصلى القديس بطرس القريب منه.

وصرح قائلاً: «نأمل في أن يكون واضحاً للجميع أن الحبر الأعظم لا يملك إلا هذه القطعة من الأرض المادية الضرورية لممارسة سلطة روحية عُهد بها إلى الناس لخير الناس. ولا نتردد في القول إننا نهنىء أنفسنا على ما حدث. إنه ليرضينا أن نرى الأملاك العقارية تقلصت إلى هذا الحد من الصغر وأنها يمكن ويجب أن تعتبر متميزة بالقدرة الروحانية العظيمة السامية والإلٰهية حقاً والمعدَّة للمساعدة والخدمة.

وكما ذكر في ملحق رقم I للمواد السبع والعشرين من المعاهدة التي وقعها مفوَّضا البابا والملك المطلقا الصلاحية، فإن مساحة حاضرة الڤاتيكان تتألف من 0,44 كلم^2. فهذه الـ 44 هكتاراً تشكل الدولة الصغرى في العالم. لكن هذه البقعة الصغيرة تتمتع بقيمة رمزية استثنائية. وهذه السيادة الدولية المسلَّم بها قانونياً التي بلغتها الدولة تحرر البابا من أي خوف من تدخل سلطات خارجية وغريبة محققة له استقلالية في ممارسة سلطاته العليا.

على هذه البقعة من الأرض يتمتع الكرسي الرسولي بملكية تامة

وبسلطة وبحق مانع مطلق وبسلطة قضائية عليا تمتد إلى ما تحت الأرض وإلى المجال الجوي. وهي، أساساً، ساحة القديس بطرس والكاتدرائية والقصر والحدائق التي تتدرج على تلة الفاتيكان وفي وسطها التمثال الجبار للرسول بطرس من صنع فيليپُّو غناكوريني (F. Gnaccorini). وكثير من الينابيع وعلى الأخص ينبوع النسر الذي يمثل قصة التنانين وسمندلات الماء يشرف عليها من علٍ نسر ضخم. فهذه المجموعة الصغيرة والعملاقة، في الوقت نفسه، لم تنشأ لكي تكون مدينة ولكنها وُلِدت داخل قلعة مُعدَّة للدفاع عن قبر القديس بطرس. والطول الأقصى للحاضرة هو 1045م وعرضها 850 م، وثلث المساحة تشغله الأبنية والثلث الآخر للساحات والأفنية (ج. فناء) والثلث الأخير تشغله الحدائق، جميعها مسورة بجدران مجهزة بخمسة منافذ للدخول: باب البرونز وهو مدخل القصر، قوس الأجراس قائم إلى شمال واجهة الكاتدرائية، هذا المدخل الضيق تضاعف الآن من عن شماله بمدخل أصبح ضرورياً، قرب قصر السان ـ أوفِّيس، لقاعة الاجتماعات التي بناها البابا بولس السادس؛ باب سانت ـ آن عبر الباب الملائكي (Porta Angelica) الذي يؤدي إلى مكاتب الخدمات؛ ومدخل المتاحف أعده پيوس الحادي عشر، طريق الڤاتيكان فوق ساحة ريزورجيمانتو (Resorgiento).

وحدها ساحة القديس بطرس مدخلها حرّ وكذلك الكاتدرائية. وإستناداً إلى اتفاق مشترك، عهد أمر الشرطة في الساحة إلى رجال الأمن التابعين للحكومة الإيطالية. وفي المناسبات الإستثنائية، كزيارة رئيس دولة أو انعقاد مجمع مسكوني يمارس الكرسي الرسولي، فعلياً، سلطته القضائية على مجمل الساحة التي توكل حراسة مدخلها إلى بطانة الڤاتيكان.

IV ـ من پيوس الحادي عشر إلى يوحنا بولس الثاني

هذه المدينة التي بُنِيت في جوار مدفن تُشَكِّل أعظم تحول مديني في التاريخ. وإن أكثر الأبنية المصممة لتكون دوراً للملوك أو متاحف هي

صعبة التكيّف مع متطلبات حكومة حديثة. وعدد كبير من أجهزة الكرسي الرسولي المسمّى ببساطة، الڤاتيكان، بدءاً بالجمعيات الدينية، اتخذت محل إقامة لها خارج نطاق الحاضرة. لا يضم الڤاتيكان بالمعنى الحصري، علاوة على البابا، إلاّ معاونيه المباشرين في أمانة سر الدولة والمتاحف المفتوحة أمام العموم مع مصالح الحاضرة الصغيرة. وقد ابتنى پيوس الحادي عشر غداة اتفاقات 1929، محطة ومركزاً بريدياً ومحطة خدمات للسيارات ومخزن تموين وخدمات صحية وقصر المحافظة الذي شيّده في الأصل لوقا بلترامي من 1929 إلى 1931 لإيواء المدرسة الإكليريكية الحبرية الرومانية. ولا يزال في الحاضرة مدرستان كنسيتان، المدرسة الحبشية لإعداد كهنة فتيان لهذا المذهب والمدرسة التوتونية التي هي مركز مؤسسة الدروس الأثرية والتاريخية.

وفي 1962 أوعز البابا يوحنا الثالث والعشرون، بأن يُرمَّم في وسط الحدائق، الجدار الذي يصل برج القديس يوحنا بمغارة لورد وهو من صنع ماسَّابِيلِّ (Massabielle) أهداه الكاثوليك الفرنسيون إلى لاون الثالث عشر. ويضم مذبح المغارة القديم وقد قدّمه أسقف لندن، المونسنيور تياس (Théas) إلى البابا يوحنا الثالث والعشرين نفسه. وقد طلب في الوقت ذاته إصلاح البرج القديم المسمّى برج القديس يوحنا، لكي يقوم هناك بأعماله بهدوء في الأيام الجميلة. شيّد البرج الذي يدخل في نظام تحصين الڤاتيكان 848 في حبرية لاون الرابع. وظل حتى 1929 مركز المرصد البابوي عندما نقل إلى كاستل غاندولفو. وقد جعل منه البابا يوحنا الثالث والعشرون مسكناً ذا أربع طبقات مجهَّزة بمصعد كهربائي، فيه استقبل البابا بولس السادس البطريرك آثيناغوراس في تشرين الأول/ أكتوبر 1967، واستقبل 1970 البطريرك ڤاسكين الأول كاثوليكوس الأرمن، كما استقبل الكردينال الهنغاري جوزف مندزنتي لدى خروجه من سفارة الولايات المتحدة في بودابست. وابتنى البابا يوحنا الثالث والعشرون، في الوقت نفسه، قرب معرض الرسوم الذي أوعز به پيوس الحادي عشر، بناءً

جديداً معدّاً لإيواء المجموعات الفنيّة التي نقلت من لاتران إلى الڤاتيكان. وأنجز بولس السادس هذا البناء ودشّن المتحف الجديد الذي شيّده في الحدائق،الأخوة پاسّارللي من 1965 إلى 1971.

ولكن الإسهام الأعظم للبابا بولس السادس في المجموعة المعمارية للڤاتيكان هو بناء قاعة الاجتماعات. كان پيوس الحادي عشر يستقبل المؤمنين في مختلف قاعات الجناح البابوي في حين أن القديس پيوس العاشر كان يعطيهم دروساً في التعليم المسيحي، صباح كل أيام الآحاد في فناء سان ـ داماز. وحمل تدفق الحجاج بعد الحرب العالمية الثانية پيوس الثاني عشر على استقبالهم في قاعة التبريك القائمة فوق الفناء الداخلي لكاتدرائية القديس بطرس، وفي قاعتي الدوقية والملكية اللتين تقودان إليها. وكان يوحنا الثالث والعشرون يعقد اجتماعاته، كل أربعاء، في كاتدرائية الڤاتيكان.

وفي 1964 قرر البابا بولس السادس بناء قاعة فسيحة للاجتماعات وراء قصر سان ـ أوفّيس إلى شمال أعمدة برنيني. فقام بذلك المهندس المعماري الإيطالي نِرڤي. كان البناء على شكل شبه منحرف، ومصنوعاً من الإسمنت المغطى بالتراڤرتين (Travertin) وهو حديث الطراز وفي غاية البساطة يصل بين مأوى القديسة مرتا ومدرسة التوتونيك والسان ـ أوفّيس. والمنصة التي يرتفع عليها عرش البابا تُرى بوضوح من كل نواحي القاعة التي تتسع لـ 6726 زائر قعوداً و 12000 وقوفاً.

وأعِدّت قاعتان مجاورتان، واحدة لاجتماعات الوفود القليلة العدد، والأخرى مجهَّزة بـ 350 مقعداً لاجتماعات العمل لسينودس الأساقفة ومجموعات أخرى. يعمل فيها تلفزيون داخلي وترجمة متزامنة، تخصص للصحافة والإذاعة والتلفزيون ومنابر جانبية. والقاعة الجديدة التي دشنت في 30 حزيران/ يونيو 1971 بعد سبع سنوات من العمل وهي تعتلي اعتلاء الفارس للجواد حاضرة الڤاتيكان والأرض الإيطالية حيث تتمتع بالحصانة

الدولية، ولكن قاعة الاجتماعات هذه التي صممت لتكون كبيرة أصبحت صغيرة. ويستخدم البابا يوحنا بولس الثاني، إذا شاء، أمام تدفق الحجاج، ساحة القديس بطرس الفسيحة بين أذرع أعمدة برنار المفتوحة على مداها.

V ـ نيابة حاضرة الڤاتيكان ونيابة روما

وغداة توقيع اتفاقات لاتران، يقرر البابا پيوس الحادي عشر استناداً إلى دستور المعاهدة الثنائية في 30 أيار/مايو 1929، أن حاضرة الڤاتيكان بالرغم من أنها تشكل جزءاً من أبرشية (أسقفية) روما يكون لها إدارة دينية خاصة. وعهد البابا يوحنا بولس الثاني، بموجب رقيم بابوي مؤرخ في 14 كانون الثاني/يناير 1991 بالخدمة الرعوية في دولة الڤاتيكان إلى رئيس كهنة كاتدرائية الڤاتيكان الموسوم نائباً عاماً للبابا في الحاضرة.

تشكل نيابة البابا في روما الإدارة الرعوية العامة للأبرشية (المنطقة التي تشملها مسؤولية الأسقف) تحت إشراف وسلطة النائب البابوي الذي لا تُعلَّق مسؤوليته أثناء شغور الكرسي الرسولي. ولكي يستطيع الكردينال النائب أن يحل المسائل الرعوية لمدينة من 3 ملايين مواطن وعلى تزايد مستمر يستعين بنائب وكيل وبعدة أساقفة مساعدين. تعينت مكاتب النيابة، باقتراح من البابا يوحنا الثالث والعشرين وبتنفيذ من البابا بولس السادس، في قصر لاتران قرب كاتدرائية الأبرشية القديمة. وهي تشمل مصلحة للشؤون العامة ومراكز رعوية للعبادة والتكريس وتنشيط الجماعات المسيحية والخدمات الاجتماعية الخيرية، والإهتمام الرعوي بالعائلة، والتعاون الرسولي ومحكمة عادية إقليمية في لاتيوم لقضايا إبطال الزواج ومحكمة استئناف.

لقد تخلى البابوات منذ وقت طويل عن مسؤولية أسقفية روما لمعاونيهم لأنهم مشغولون باستمرار بشؤون الكنيسة العالمية. ولكن ابتداء من حبرية يوحنا الثالث والعشرين وبولس السادس ويوحنا بولس الأول

ويوحنا بولس الثاني استعادت روما أسقفها. لقد أعلن ذلك يوحنا بولس الثاني في 28 حزيران/ يونيو 1980 إلى أعضاء مجمع الكرادلة وإلى حاضرة الفاتيكان وإلى نيابة روما قائلاً:

«إن علي، لكوني أسقفاً لروما، مسؤولية رعوية مباشرة تجاه كل من الرعايا الرومانية. لذلك بدأت بزيارتها واحدة واحدة منذ بدء خدمتي الحبرية».

الفصل الثالث

مكاتب الڤاتيكان

«الڤاتيكان، كم فرقة عسكرية؟» هذا ما قاله الجبّار ستالين ساخراً، وتعلّم خلفاؤه أن يحسَبوا له حساباً. فليست قوته العسكرية هي التي تعاظمت ولكن عودة المهابة تقترن، بالنسبة إلى الكنيسة القديمة، بتجدد الشباب العائد بانتخاب رئيس أساقفة كراكوڤيا كارول ڤوجتيلا (Karol Wojtyla) ابن الثمانية والخمسين عاماً تحت اسم يوحنا بولس الثاني. إن ما يقارب من مليار كاثوليكي منتشرين في العالم يعترفون به رئيساً لهم روحياً لأنه نائب المسيح على الأرض، مفتاح القبة السماوية التي هي الأساقفة والروح القدس هو مهندسها. إن البابا، باعتباره أسقفاً لروما، لا يحكم الكنائس مباشرة فالأساقفة ليسوا أتباعه بل إخوته، وهو أبعد من أن يكون الرئيس ـ المدير العام (P.D.G.)[1] للكنائس المحلية، إنه أسقف كنيسة روما التي ترئس شركة الكنائس جميعها في الإيمان والرجاء والمحبة، وضامنة وحدتها. وهو ذاته يحكم أبرشيته في روما بواسطة كاردينال ينوب عنه. وهو على اتصال بجميع الكنائس عبر أعضاء الكرسي الرسولي الذين يؤلفون الإدارة العامة الرومانية.

I ـ الحياة في الڤاتيكان

من المناسب قبل، أن نتحدث عن هذا الجهاز العضوي المعقد الذي تكوّن على مدى العصور، أن نصف مكاتب الڤاتيكان التي تؤلف بنيته التحتية

(1) Président - directeur général.

المادية. إن سكان الڤاتيكان يبلغون إجمالاً 684 شخصاً؛ 358 منهم فقط يتمتعون بالمواطنية الڤاتيكانية، والباقون هم فقط مقيمون. ويجدر بنا أيضاً أن نفهم هذه الإقامة بالمعنى القانوني وليس الفعلي، فبعض أعضاء الإدارة الڤاتيكانية يقيمون في المدينة (أي روما) وذلك بسبب ضيق مساحة الحاضرة (أي الڤاتيكان). وفضلاً عن ذلك فإن المواطنية الڤاتيكانية ليست عبارة عن انتماء إلى جماعة قومية ولكنها اعتراف بوضع خاص مرتبط بممارسة وظيفة في خدمة الكرسي الرسولي. وعندما ينتهي القيام بالوظيفة تتلاشى المواطنية في الوقت نفسه. وتلك حالة الأحبار الذين يُستَدْعَون لممارسة مسؤوليات رعوية مثل المونسنيور مونتيني عندما ترك أمانة سر الدولة ليصبح رئيس أساقفة ميلانو 1954؛ أمّا بالنسبة إلى الموظفين المتزوجين فإن مواطنية رب العائلة تستتبع مواطنية الزوجة والأولاد والذرية والأخوة والأخوات إذا كانوا يقيمون معه. يتمتع الأخوة والأبناء بالمواطنية حتى سن الخامسة والعشرين إلا إذا كانوا عاجزين عن القيام بأي عمل، أما الأخوات والبنات فحتى زواجهن.

يمارس الحبر الأعظم سلطته على الجميع. يؤلف رجال الدين والعلمانيون والعسكريون مع بعض الجماعات الدينية الجهاز الفعلي للحاضرة الصغيرة وملحقاتها. تستخدم الإدارة الرومانية ومكاتب دولة حاضرة الڤاتيكان إجمالاً حوالي 3500 شخص يضاف إليهم حوالي 1500 متقاعد. وما يسترعي الإنتباه أنه بعد مرور قرن على زوال الدول البابوية ألغى البابا بولس السادس في أيلول/ سبتمبر 1970 حرس الشرف والحرس البلاطي، وحوّل جهاز الدرك الحبري إلى دائرة ذات نظام مدني للمراقبة. وببزة كحلية وبقلنسوة على الرأس ومفاتيح في عُرى الأزرار، مع قائد يعتمر قبعة (كسكيت) يراقب أفراد هذه الدائرة المدنية المداخل ويتحققون من أوراق الزوّار ويصحبونهم إلى حيث مواعيد لقاءاتهم ويمارسون رقابة سرّية في الحدائق والأبنية بواسطة مراكز ثابتة ودوريات ليل نهار. وثبّت في كاتدرائية القديس بطرس نظام اتصال لاسلكي يتيح لحراس الليل أن يتصلوا

مباشرة بمركزهم التابع للفاتيكان في حالات الإنذار.

الوحدة العسكرية الوحيدة الباقية في الحاضرة هي الحرس السويسري. أوجد هذه الوحدة القديمة المدهشة المنظر البابا يوليوس الثاني 1506. لقد اضطلعت بمهمتها على مدى التاريخ، مكلفة حماية القصر وشخص البابا حتى إراقة الدماء. في السادس من أيار/مايو 1527 ذبح مرتزقة شارلكان الحرس السويسري الذي يقوم بخدمة البابا. ومنذ ذلك الحين وفي السادس من أيار/مايو كل سنة يقسم المتطوعون الجدد يمين الأمانة في فناء سان ـ داماز أمام عَلَم الحرَس. هوية الحرس: كاثوليك سويسريون يمارسون واجباتهم الدينية، عمرهم أقل من 25 عاماً، منخرطون في الجيش، وقد أكملوا تدريباتهم. طول الواحد منهم على الأقل 1,74 م وهم مصممون على أن يظلّوا سنتين على الأقل في خدمة الكرسي الرسولي. في زيهم الفضفاض المزركش بألوان النهضة الذي رسمه، استناداً إلى التقاليد، ميكال آنج، أو في بذلتهم البسيطة اليومية الزرقاء القاتمة، يسيرون سير تعالٍ وكِبَر بطبرهم القديم وهم طريدة مفضلة لمصطادي الصور.

ومهما يكن منشأ الموظفين وعملهم، فإنهم جميعاً منذ تثبيتهم في وظائفهم يتمتعون بالضمان الإجتماعي، والتسجيل في صندوق المساعدة الطبية[1] (F.A.S) مفروض على الجميع. إن ثمة اكتتاباً يسمح بتغذية الضمان الإجتماعي للفاتيكان الذي يتصرف بميزانية مستقلة ومستوصف مفتوح باستمرار يؤمن الخدمات الضرورية.

ويتناوب فيه أطباء يمارسون الطب العام واختصاصيون. الإستشارات جميعها مجانية وكذلك الأدوية التي تؤمنها صيدلية الفاتيكان المجاورة التي

---

(1) Fondo - assistanza sanitaria.

يشرف عليها رهبان سان ـ جان دو ـ ديو (Saint - Jean - de - Dieu).

الكرسي الرسولي وحده، في الحاضرة، يمتلك جميع الأبنية. كل النشاطات التي تجري هناك تخضع لمراقبة الدولة. وقرب باب القديسة أنّا (Sainte - Anne) محل تموين (Annona) يوفر للموظفين وأعضاء السلك الدبلوماسي، المعتمدين لدى الكرسي الرسولي، التموُّن بالسِّلع الغذائية. والفاتيكان الذي يدفع أجوراً متواضعة استناداً إلى سُلَّم لا يرقى إلى أكثر من واحد على ثلاثة، لا يجبي ضرائب مباشرة أو غير مباشرة. ويعرض محل تجاري خاص بالحاكمية بضائع جاهزة يتم إدخالها إلى الفاتيكان وتحددها اتفاقات مع إيطاليا. استحدثت منذ تشرين الأول/ أكتوبر 1964 منطقة زرقاء قرب المحال التجارية للتوقف لمدة ساعة ومنذ الأول من أيلول/ سبتمبر 1970 تخضع حركة المرور لقانون السير. ويسجل الملحق على 27 مادة من قانون السير الفاتيكاني، على 4 صفحات، الغرامات المطبقة على المخالفات.

II ـ الحاكمية

بعد أن صدّق البرلمان الإيطالي في السابع من حزيران/ يونيو 1929 على اتفاقيات لاتران دخلت هذه لتوها حيز التنفيذ، وفي نهاية الحرب وبعد سقوط الملكية دوِّن الإعتراف بها في المادة السابعة من الدستور الجديد واقترع لصالحها في السابع والعشرين من كانون الأول/ ديسمبر 1947، 350 صوتاً. وخضعت حاضرة الفاتيكان لقانون دولة عمم في نشرة رسمية تدعى أعمال الكرسي الرسولي (Acta Apostolicae Sedis) وتبعاً لأحكام هذا القانون يمارس البابا سلطته التشريعية والتنفيذية بواسطة لجنة من الكرادلة يعينهم لخمس سنوات. يعهد بالسلطة التنفيذية إلى أمين سر عام مع مفوض خاص ومستشار دولة. توجد المكاتب قرب كاتدرائية القديس بطرس. تشمل الحاكمية أمانة سر عامة وثماني إدارات. تهتم الأمانة العامة بالشؤون العامة، بالمكتب القانوني، بملاك الموظفين والحالة

المدنية، بالمحاسبة، بالطوابع، بالمسكوكات، بالبريد، بالبرق وبالبضائع.
الإدارات الثماني هي:

1) إدارة الأضرحة والمتاحف والمعارض الحبرية.
2) إدارة الخدمات التقنية والأبنية والمؤسسات وإصلاح الأراضي والمراقبة والتفتيش والإصلاح وموقف للسيارات والهاتف.
3) إدارة الخدمات الإقتصادية ومحال التموين (Annona).
4) إدارة الخدمات الصحية.
5)إدارة مرصد كاستل غوندلغو.
6) إدارة الدروس والأبحاث الأثرية.
7) إدارة القصور البابوية في كاستل غاندولغو.
8) إدارة الخدمة المدنية للسهر على الدولة وحاضرة الڤاتيكان.

لم تُستخدم المحطة الموجودة قرب الحاكمية حتى حبرية يوحنا الثالث والعشرين إلا لنقل البضائع من سكة حديد إيطاليا. وقد ركب البابا العجوز بنفسه القطار ليذهب حاجّاً إلى أسِّيز ولوريت عشية افتتاح المجمع وأمر بنقل بقايا سلفه القديس پيوس العاشر إلى بطريركية البندقية. وانشأ پيوس الحادي عشر مساكن للموظفين ومكتباً للسيارات ومركز بريد. ففي بعض الأيام تنتظم صفوف طويلة أمام شبابيك التوزيع يراقبها أعضاء مصلحة النظام المدني بعين سمحة: ويظل الطلب على إصدارات طوابع الڤاتيكان شديداً من قبل هواة المجموعات. إنه المركز الوحيد الذي تفيد منه ميزانية الدولة. ويجمع الناس بكل طيبة خاطر الأيقونات والعملة الڤاتيكانية المسكوكة في دار السك الإيطالية استناداً إلى اتفاق خاص. وفضلاً عن ذلك فإن سعر تبادل العملات هو دقيق والتداول الحر مضمون في الدولتين. إن قطع النقد الڤاتيكانية تبدأ من لير واحد إلى قطعة 500 لير. وتصدر الميداليات كل سنة بابوية وفي مناسبات استثنائية مثل: افتتاح أو إختتام المجامع، أسفار البابا، حفلات يوبيلية.

ويؤمن الإتصالات الخارجية والداخلية مركز للهاتف أنشىء سلفه 1886 وهو يؤمن منذ ذلك الحين حوالي ستة ملايين اتصال كل عام.

III ـ راديو الڤاتيكان ومركز تلفزيون الڤاتيكان

راديو الڤاتيكان هي صوت البابا، ثلاثون لغة كل يوم و 15 لغة إضافية في المناسبات (الموجات المتوسطة 195 م، الموجات القصيرة 48,47 م؛ 41,38 م؛ 31,10). دشنها البابا پيوس الحادي عشر في 12 شباط/ فبراير 1931 بحضور العالم ماركوني. ثبّت أول جهاز بث في الحدائق على البرج القديم القروسطي الذي جهزه البابا لاون الثالث عشر. لكن ضيق الأرض وموقعها في وسط المدينة يحولان دون تطوير شبكة الهوائيات الضرورية. وهكذا استطاع الكرسي الرسولي، بعد الحرب، الحصول على قطعة أرض من 400 هكتار أي 18 كلم^2 من روما على طريق بحيرة براتشيو. فعلى أرض سانتا ماريا دي غاليريا هذه التي تتمتع بالحصانة السياسية بُنِيَ 1955 مركز فسيح على مقربة من صليب ضخم من 90 م وتمثال الملاك جبرائيل شفيع الإتصالات اللاسلكية. فشارة الدلالة، المسيح انتصر، المسيح يملِك، المسيح يأمر، يدوّي بعد الآن في العالم بأسره. تتجمع المكاتب والأستديوهات في قصر پيوس وهو بناء ضخم مربع قائم تجاه قصر سان ـ آنج (Saint - Ange)، وعهد البابا پيوس الحادي عشر بإذاعته إلى اليسوعيين. وهم لا يزالون يوجهونها بمساعدة جهاز بشري من أكثر من 50 قومية تحت سلطة رئيس تساعده إدارات مختلفة (وهي تبث) برامج تقنية وإدارية وتخضع لمراقبة أمانة سر الدولة. ولكن أقسام اللغات هي فعلاً مستقلة بالنسبة إلى الإدارة العامة. وتضع الإدارة المركزية تحت تصرفها مستندات آنية، والمسؤولون الإذاعيون يسعون دائماً إلى إجراء مقابلات مع شخصية عابرة. ولكن من الطبيعي أن يكون صوت البابا هو الأكثر ذيوعاً يدوّي في الشرق كما في الغرب، في الشمال كما في الجنوب وفي كل القارات.

وببراءة بابوية مؤرَّخة في 22 تشرين الأول/أكتوبر 1983 أوجد البابا يوحنا بولس الثاني مركز تلفزيون الڤاتيكان (CTV) وهو مؤسسة مستحدثة مستقلة إدارياً عن الكرسي الرسولي خاضعة مثل إذاعة الڤاتيكان وأوسِّرڤاتوري رومانو إلى مراقبة أمانة سرّ الدولة. وهدفها زيادة حضور الكنيسة والثقافة المسيحية باستخدام الوسائل السمعية البصرية. إن محطة تلفزيون الڤاتيكان تؤمن إنتاج ونشر وتوزيع برامج تلفزيونية ذات طابع ديني وثقافي وعلمي وفني. مكاتبها تقع في قصر البلڤيدير داخل حاضرة الڤاتيكان.

فضلاً عن ذلك فإنه بفضل محطة تلفزيون السلام (Telepace) بدأ الڤاتيكان، الذي حقق له وجوداً في التلفزيون الأوروبي (Eurovision) ببث برامج تلفزيونية بواسطة الأقمار الصناعية. يستعرض البث اليومي، من الساعة 19 إلى الساعة 19,30 محلية، نشاطات الأب الأقدس ونشرة إعلامية، ويبث الجهاز مباشرة صلاة التبشير يوم الأحد في الجمعة الأولى من الشهر والأحداث الإستثنائية مثل رُتب التطويب وتقديس الأبرار واجتماع الكرادلة والمجامع الكنسية (Synodes). الذبذبات GHZ 11,554 ـ إستقطاب أفقي على الحزمة الضوئية العليا ـ يذاع الصوت على MHZ 6,65.

IV ـ المطبعة والمكتبة الڤاتيكانيتان

مجلة الأوسِّرڤاتوري رومانو

تشغل المطبعة، إلى جانب الإذاعة والتلفزيون، مركزاً خطيراً في الڤاتيكان. إنها متعددة اللغات وتنشر بإدارة الساليزيين (رهبانية منسوبة إلى القديس فرنسيس دوسال) الوثائق البابوية بـ94 لغة. ويواكب عمال المطبعة، في مشغلهم المجاور لمركز البريد، الأحداث اليومية. وقد كلفهم المجمع كثيراً من الساعات الليلية الإضافية. يطبعون كل سنة الدليل

السنوي البابوي (L'Annuario Pontificio) وهو مجلد ضخم من أكثر من 2000 صفحة غني بالمعلومات عن مجمع الكرادلة، عن مراكز الأحبار والأديرة وتوزيعها الجغرافي عن أمانة سر الدولة، عن الجمعيات الدينية والمحاكم، عن المجالس والمصالح الإدارية وأجهزة أخرى من الإدارة الرومانية والمؤسسات المتعلقة بالكرسي الرسولي، عن ممثلي الأحبار والهيئة الديبلوماسية المعتمدة لدى الكرسي الرسولي. عن النيابة البابوية في روما، عن المعاهد الدينية والمؤسسات الثقافية وملاحظات تاريخية ودليل قيّم لأسماء الأشخاص.

وأضيف 1941 إلى هذه النشرة المستمرة منذ 1860 نشرة تدعى «نشاطات الكرسي الرسولي L'Attivita della Santa Sede) وتحتوي نظرة شاملة على السنة الجارية بالألوان. ومنذ 1969 ينشر مكتب الإحصاء دليلاً إحصائياً للكنيسة بسبع لغات. وبإشراف أحد أساقفة أمانة سر الدولة تنشر مجلة «أعمال الكرسي الرسولي» (Acta Apostolicae Sedis) الأعمال الرسمية للكرسي الرسولي.

تأسست صحيفة الـ «أوسّرڤاتوري رومانو» 1861 وهي تطبع منذ 1930 في الحاضرة تحت عنوان «صحيفة يومية سياسية دينية» ولهذه الصحيفة طابع خاص. بعض أقسامها المعروفة بعناوينها «معلوماتنا، الكرسي الرسولي، حاضرة الڤاتيكان». لها صفة رسمية. وهذه الجريدة اليومية تشكل مرجعاً لأحاديث البابا حتى نشرها في «الأعمال» (Acta) النص الرسمي الوحيد. وتنشر مقالات تبدو بوضوح أنها موحىً بها. أما المقالات الأخرى فهي، استناداً إلى شعار الصحيفة «لكلٍ ما يعود له» تنشر على مسؤولية صاحبها تحت إشراف المدير المسؤول قانونياً أمام محاكم الحاضرة. ويلحق بالصحيفة اليومية أوسرڤاتوري 6 نشرات أسبوعية بالطليانية والفرنسية والالمانية والانكليزية والبرتغالية والإسبانية ونشرة شهرية بالبولونية.

ويقيم الصحافيون المعتمدون لدى الكرسي الرسولي في قاعة الصحافة القائمة في أول جادة الوفاق على ساحة پيوس الثاني عشر. ففي هذه القاعة يذاع كل يوم بعد الظهر نشرة مطبوعة على الرونيو[1]، وتعقد مؤتمرات صحفية باستمرار.

وعلاوة على ذلك تنشر الدائرة الڤاتيكانية للإعلام (VIS) التي أنشئت 1990 بواسطة الفاكس وبالإنكليزية والإسبانية المعلومات الصادرة عن الكرسي الرسولي.

ونضيف إلى دوائر الڤاتيكان مدرسة البِساطة (صناعة وإصلاح البسط) عهد بها پيوس الحادي عشر إلى الفرنسيسكان رسل مريم المكلفة إصلاح بسط الحاضرة والمحافظة عليها. ومن ناحية أخرى فمنذ القرن السادس ومع بناء كاتدرائية ألقديس بطرس، توجد إدارة خاصة تحت سلطة رئيس الكهنة، مصنع القديس بطرس مع مهندسيها وتقنييها وعمالها الإختصاصيين.

V ـ قصور تتمتع بالحصانة السياسية
كاستل غاندولفو

يذكر ملحق رقم II على معاهدة لاتران قائمةً بالأبنية التي، وإن كانت لا تشكل قسماً من الڤاتيكان، تتمتع بالحصانة السياسية مع إعفائها من نزع الملكية، هذه الأبنية هي كاتدرائية وقصر لاتران وكاتدرائية سانت ـ ماري ـ ماجور (Sainte - Marie - Majeur) وسان ـ پول ـ هور ليه مور (Saint - Paul - hors les mors) وقصر الختم الرسولي وقصر نشر الإيمان وساحة إسپانيا وساحة سان ـ كالِّيكست في ترانستيڤير (Transtévère) وساحة أخوية الكنائس الشرقية وجادة الوفاق، وسان أوفِّيس ونيابة روما

(1) ماكنة تطبع النصوص المكتوبة بالآلة الكاتبة (Dactylo).

القديمة، وجادة الپيغنا ومدرسة الپروپاغندا ومستشفى الطفل يسوع (Bambino Gesù) على الجانيكول. وفي ملحق ثالث ذكرت أبنية أخرى وإن لم تكن تتمتع بالحصانة السياسية فهي مستثناة من الإستملاك وهي الجامعة الغريغورية، معهد الكتاب المقدس، قصر الرسل الإثني عشر والقصور الملحقة بكنائس سانت أندريا دِلاّڤاليه (Saint Andréa della Valle) وسان كارلو آي كاتيناري (San Carlo ai Catinari) والمعهد الأثري والمعهد الشرقي والمدرسة اللومباردية والمدرسة الروسية وقصر سان ـ أپولينير وبيت الممارسات الروحية الخاص بالكهنة الملاصق لكنيسة القديسَين يوحنا وبولس.

ويجب أن يفرد مكان خاص، في نهاية هذا الفصل، للقصور البابوية في كاستيل غاندولفو محل الإقامة الصيفية للبابوات. وعلى بُعد 25 كلم جنوب روما تقع هذه القرية ذات المنظر البديع في مكان يسمى القصور الرومانية (Castelli Romani) فوق بحيرة البانو. وكان الرومان منذ أقدم العصور يقدرون سحر هذا المكان.

لقد ابتنى الإمبراطور دومتيانوس لنفسه قصراً هناك. ولا تزال خرائب هائلة تشهد على هذا المقام الإمبراطوري العظيم. والقصر البابوي الحالي ابتناه البابا بولس الخامس 1605. وأعد البابا أوربانوس الثامن الفلورانسي (1623 - 1644) والبابا ألكسندر السابع من سيان (1655 - 1667 Sienne) موقف السيارات والحدائق. وبعد أن أُهمِل القصر البابوي وقصر بربريني المجاور منذ 1870 أصلحهما البابا پيوس الحادي عشر بعد توقيع اتفاقيات لاتران من 1929 إلى 1932. واعتاد البابوات منذ ذلك الحين أن يقضوا عطلتهم الجادّة بعيداً عن جو العاصمة الخانق على ارتفاع نحو 500 م على منحدر بطيء لبركان قديم ذي منظر متناسق. والبابا يوحنا بولس الثاني الذي كان يأتي بطيبة خاطر إلى هذا المكان ليستعيد نشاطه بعد رحلاته المرهقة إلى الخارج، ابتنى حوضاً للسباحة بطول 25 م وعرض 12 م

يستفيد منه على الأخص، الحرس السويسري وجيران الأب الأقدس القليلون. وكان البابا پيوس الثاني عشر قد بدأ 1957 بإبتناء قاعة للإجتماعات دشنها يوحنا الثالث والعشرون في 22 تموز/ يوليو 1959. وكان التدفق المستمر للحجاج يحمل البابا يوحنا بولس الثاني على العودة كل يوم أربعاء إلى الڤاتيكان حيث استحدِث مطار للطائرات المروحية. ويوم الأحد كان اتصال إذاعي يتيح للحجاج المجتمعين في ساحة القديس بطرس أن يشاركوا في صلاة التبشير التي كان البابا يتلوها من على شرفة الطابق الأول في محل إقامته في كاستل غاندولفو. وإلى جانب ذلك كان بإستطاعة المؤمنين أن يدخلوا إلى الفناء. ثمة طريق دائرية تنطلق من طريق أپيّا (Appia)، توصل إلى مقر الإقامة البابوية وإلى قصر باربريني حيث يقيم الكاردينال أمين سر الدولة ومدبر البيت الحبري المكلف بخدمة أصحاب الحاجات. وقضى البابا پيوس الثاني عشر ثم البابا بولس السادس نحبهما بسبب المرض أثناء إقامتهما الصيفية في كاستيل غاندولفو، فنقل جثمانهما فوراً إلى كنيسة القديس بطرس.

VI ـ مالية الڤاتيكان

إن أسمى النشاطات الروحية ليست مجردة من الماديات. فلا يمكن أن تمارس دون دعم مادي، أقل دعم ممكن، والڤاتيكان لا يستثنى من ذلك لدعم نشاط البابا ومعاونيه داخل الإدارة الرومانية. فكيف تُؤمَّن موازنة هذا الفريق؟

في الحادي عشر من شهر شباط/ فبراير 1929 وقعت إتفاقيات لاتران التي وضعت حداً للمسألة الرومانية الشهيرة. ووضع إتفاق مالي يكمل الإتفاقية: يتلقى الكرسي الرسولي من إيطالي 750 مليون لير وسندات بفائدة 5٪ من القيمة الإسمية لمليار واحد كتعويض عن خسارة الدول البابوية القديمة والأملاك الكنسية. ولكن تطبيق النزعة التوحيدية للكنائس

ومجمعية تدويل الإدارة الرومانية بمشاركة أساقفة وخبراء يساعدونهم في عملهم والتنقلات المتكاثرة تحتاج إلى نفقات متزايدة.

إن فوائد رأس المال والمداخيل التقليدية من أعطيات وهبات وفِلْس القديس بطرس لا تكفي لتغطية نفقات حكومة كنسية مهتمة بتوثيق العرى الداخلية بين الكنائس المحلية كما بين الكنائس المسيحية الأخرى في حوار يتسع اتساع العالم.

ويذكر البابا يوحنا بولس الثاني في رسالة له مؤرخة في 20 تشرين الثاني/نوڤمبر 1982 حول معنى العمل المنجز في سبيل الكرسي الرسولي إن البحث عن تثمير الثروات الاقتصادية وتنمية العائدات هما خارج نطاق غايات المؤسَّسية الرَّعوية. يمكن للكرسي الرسولي ويتوجب عليه أن ينتفع بمساهمات المؤمنين العفوية دون اللجوء إلى وسائل أخرى قد تبدو أقل احتراماً لشخصيته الخاصة، بإختصار، إن إدارة أعمال الكرسي الرسولي تحتاج إلى تشدّد ورزانة، لأن الكنيسة تعيش بالمحبة وتقوم بعملها بوسائل محدودة جداً. فبالنسبة إلى نفقات المؤسسات الدولية الكبرى تعتبر ميزانية الڤاتيكان أكثر من متواضعة.

في الحادي والثلاثيين من أيار/مايو 1981 ألف البابا يوحنا بولس الثاني بواسطة رقيم (Comperta Habentes) مجلساً من 15 كاردينالاً لدراسة مسائل التنظيم والمشكلات الاقتصادية للكرسي الرسولي. اختير هؤلاء الكرادلة من بين أساقفة كنائس خاصة من مختلف أنحاء العالم ويجتمعون مرتين في السنة.

يطّلع هذا المجلس على نشاط مؤسسة الأعمال الدينية (IOR) التي أنشئت واتخذت مقراً لها في دولة حاضرة الڤاتيكان لمعالجة حراسة وإدارة الأموال المعدة لأعمال الدين والمحبة.

الفصل الرابع

أمانة سر الدولة والدبلوماسية البابوية

I ـ إدارات الحكومة الرومانية (البابوية)

إنّ إدارات الحكومة البابوية هي مجموع الدوائر والأجهزة التي تساعد الحبر الروماني في ممارسة مهمته الراعوية العليا الهادفة إلى خير الكنيسة المسكونية والكنائس الخاصة ومنفعتها، ممارسة بواسطتها تتقوى وحدة شعب الله وإيمانه وشركته وترقي رسالة الكنيسة الخاصة في العالم.

الإدارة البابوية أو الرومانية، الجهاز المعقّد، هي ثمرة استنباطات وتعديلات قام بها البابوات المهتمون بأن يكون تحت تصرفهم المباشر الوسائل القادرة على مواجهة مهمة تنمو وتتشعب باستمرار على صعيد الكنيسة العالمية. فاستعانوا، من أجل هذه الغاية بمستشارين ومساعدين يختارونهم من بين أعضاء الإكليروس الروماني ثم من هيئة مجمع الكرادلة. وشكل البابا بولس الثالث أول لجنة كردينالية في 21 تموز/يوليو 1542 باسم جمعية التفتيش ولجان أخرى أنشأها البابوات بيوس الرابع وغريغوريوس الثالث عشر وبولس الخامس. أول جمعية شاملة كانت من صنيع البابا سيكستس الخامس بموجب دستور أو براءة «عظائم الله الخالد» بتاريخ 22 كانون الثاني/يناير 1588، أعاد النظر فيها على التوالي البابوات كليمنس الثامن، غريغوريوس الخامس عشر، أوربانوس الثامن، كليمنس التاسع وبيوس السابع. وأجرى بيوس العاشر إصلاحاً شاملاً بموجب

دستور «عظائم الله السرمدي» الذي أعلن في 29 حزيران/ يوليو 1908 والذي عدّلت أحكامه في مجموعة الحق القانوني. إن التغيّرات العميقة التي حدثت في عصرنا والتمنيّات التي أطلقها المجمع المسكوني، الفاتيكاني الثاني، كما أن الخبرة الشخصية للبابا بولس السادس داخل الإدارة، حملته على القيام بإصلاح شامل لهذه المؤسسة العريقة في القدم. تلك كانت مهمة الدستور البابوي المدعو «أنظمة الكنيسة الجامعة» المعلنة في 15 آب/ أغسطس 1967.

وأكمل خلفه يوحنا بولس الثاني تغيير هذه البنية المؤسساتية بواسطة الدستور البابوي المسمّى «الراعي الصالح» الذي أعلن في 28 حزيران/ يونيو 1988 ودخل حيّز التنفيذ في 1 آذار/ مارس 1989 وأنجز بوضع النظام العام للإدارة الرومانية بتاريخ 4 شباط/ فبراير 1992. فألغيت، شيئاً فشيئاً، أجهزة فرغت من محتواها، وأخرى توسعت صلاحياتها وأنشئت بنى جديدة وتبدّلت تسميات تقليدية ونفث دم جديد في الجهاز بكامله بوجود أساقفة أبرشيات أعضاء في الدوائر الرومانية وذلك استناداً إلى الإرادة الرسولية «من أجل معرفة سليمة» التي أعلنها البابا بولس السادس في 6 آب/ أغسطس 1967. «إنهم يشاركون كأعضاء في اجتماعات تعقد بكامل هيئتها حيث تبحث أهم المسائل التي تتعلّق بالقضايا الأساسية».

والحبر الأعظم هو الذي يعين المدير أو الرئيس، والأعضاء وأمين السر والموظفين الآخرين الكبار والمستشارين لمدة خمس سنوات. ولا يستثنى من هذه القاعدة العامة إلاّ الأجهزة التي يحكمها قانونها الخاص وهي: محكمة الروتا، المجلس البابوي، هيئة الكتّاب الرسوليين: أمّا سكرتاريا الدولة، فهي، بسبب طبيعتها الخاصة، خاضعة لإرادة البابا. وتختفي الحواجز العازلة مع إنشاء لجان مختلطة ومع الاجتماعات الدورية لرؤساء الأجهزة الحكومية برئاسة البابا من أجل تدارس القضايا ذات الأهمية العظمى وتنسيق الأعمال وإتاحة تبادل المعلومات واتخاذ القرارات.

وتَشكَّل تنسيق عضوي إلى جوار البابا مباشرة بواسطة أمانة سرّ الدولة، في نقطة تلاقي جميع دوائر الكرسي الرسولي.

II ـ أمانة سرّ الدولة

تساعد أمانة سرّ الدولة الحبر الأعظم في ممارسة رسالته السامية. تتضمن أمانة السر، التي يرئسها الكاردينال أمين سرّ الدولة، قسمين هما: قسم الشؤون العامة بإدارة الوكيل مباشرة وبمساعدة المعاون، وقسم العلاقات مع الدول بإدارة أمين سرّ القسم يعاونه نائب أمين السرّ.

إن أمانة سرّ الدولة، بموجب صلاحيَّاتها المعقدة والخطيرة، تذكّرنا بأمانة عامة لحكومة وديوان خاص برئيس دولة، علاوة على ما تقوم به من مسؤولية العلاقات مع الدول، وعدا أنها مكلّفة بالقيام بالإتصال العادي بالأساقفة وممثلي الكرسي الرسولي والحكومات المدنية وسفرائها والإكليروس والموظفين، فإنها تقوم، في الوقت نفسه، بمهمة نقطة انطلاق إلى مختلف أجهزة الإدارة الرومانية التي تنسق أعمالها مع احترام استقلالها الذاتي. وقد أصبح حجم مراسلات الكرسي الرسولي إحدى أعظم المهمات التي يستغرق القيام بها الوقت الأوفر من أمانة سرّ الدولة، ثم ما يتبع ذلك من الطلبات التي تَرِدُها بلغات مختلفة. وكثيراً ما تلعب دَورَ مركز التوجيه فترشد مراسليها إلى السلطة الأكثر جدارة للإهتمام بحالتهم، فإمَّا ترشدهم إلى الأسقف أكثر الأحيان، وإمّا إلى أحد الأجهزة المختصة في الإدارة الرومانية وإمّا إلى ممثل الكرسي الرسولي.

نظراً إلى التبعية المباشرة للكردينال تنتقل صلاحيات واسعة إلى وكيل أمانة سرّ الدولة التي تقوم بدور نقطة اتصال في الإدارة المركزية للكرسي الرسولي. أمّا مدبِّر شؤون المكتب البابوي فهو الوسيط المألوف بين الأب الأقدس والذين يرغبون في الإتصال به. فإنه يقوم بعمل سفراء الكرسي الرسولي ونشاطاتهم، وخاصة في ما يعود إلى الكنائس الخاصة. ومن

اختصاصه أيضاً معالجة كل ما يعني ممثلي الدول المعتمدين لدى الكرسي الرسولي والذين يستقبلهم يومين في الأسبوع دون أن يكون ملزَماً تجاههم بالحصول على موعد. وهو يتعاون مع الكردينال أمين سرّ الدولة لتحضير الاقتراحات المعروضة على الأب الأقدس من أجل تسمية أعضاء السلك الدبلوماسي. والاقتراحات التي يجب أن يقوم بها أو يوافق عليها الحبر الأعظم في الإدارة الرومانية أو في سائر الأجهزة التابعة للكرسي الرسولي. إنه مسؤول عن مكتب الشيفرة والجوازات. كما أنه موزع إحسانات الكرسي الرسولي الذي يحوّل له تبرعات المؤمنين التي تسمح له بتلبية طلبات المساعدة. ومن مهماته أيضاً أوسمة الشرف ومراسلة الأجهزة الدولية ومؤسسة إعطاء أوراق الإعتماد لممثلي الكرسي الرسولي في المؤتمرات الدولية. وهو أخيراً الذي يؤمن بواسطة معاونيه تنفيذ القرارات البابوية المسؤول عن إيصالها إلى المعنيين. وفي حال فراغ الكرسي الرسولي هو الذي يوجه أمانة سرّ الدولة ويقوم بمهماته تجاه مجمع الكرادلة.

إن تنوّع القضايا المعالَجة وحجمها المتنامي حملت وكيل أمانة السرّ على توظيف جهاز بشري كفء، مئتي شخص حالياً، أكثرهم كهنة غير قانونيين (غير منتمين إلى رهبانيات عامة) يقومون إمّا بدور إداري وإمّا بدور دبلوماسي.

يتوزع هذا الجهاز البشري الدولي، الذي يتألف من 25 راهبة، و 11 امرأة أخرى، على ما يسمّى أقسام اللغات الألمانية والإنكليزية والإسبانية والفرنسية والإيطالية والپولونية والبرتغالية وعلى عاتقهن تُلقى تبعة الإجابة على البريد وتحضير عدد من المستندات. وبما أن دوام العمل الأسبوعي لهذا الجهاز مقتصر على ثلاث وثلاثين ساعة فعلية، فعليه علاوة على ذلك أن يؤمن دواماً مدفوعاً أيام الآحاد والأعياد وأن يبقى في تصرف رؤسائه كما يحدد ذلك النظام الداخلي.

وإلى جانب أقسام اللغة، ثمة دوائر مختلفة تتوزع أعمال أمانة سرّ الدولة المتزايدة باستمرار وهي: الشؤون الدولية، الشيفرة، التنظيمات والرسائل الرسولية، العلاقات مع وكلاء الإدارة الرومانية، والأوسمة الحبرية والحفلات الرسمية والإدارة ودائرة ختم الرسائل البابوية والخدمات البروتوكولية العامة وإرسال البريد الدبلوماسي والبرقيات. وتجمع أمانة السرّ بواسطة مكتب الإحصاء، وتنسق وتنشر جميع المعطيات التي تمتّ بصلة إلى حياة الكنيسة العالميّة في العالم أجمع، بعد أن ترتّب بحسب قوانين الإحصاء، وتضع تحت تصرفها عدة ممثلين حبريين، وخاصة مفوضاً لتمثيل البابا، أو المفتش النقّال أو الطيّار كما يدعى في معرض المزاح، وكذلك عدة مستشارين أحدهم لاهوتي المكتب البابوي الوريث البعيد لسيِّد البلاط المقدّس الذي ترقى أصوله إلى هونوريوس الثالث وإلى القديس دومينيك دو غوزمان في النصف الثاني من القرن الثالث عشر. واكتمل الجهاز بلجان ثابتة دائمة لملاك الموظفين وإنجاز خطة عضوية لتنظيم الإدارة الرومانية والأوسمة البابوية.

وما تُعنى به فوق ذلك هو الإهتمام بحفظ الختم الرصاص وحلقة الصيَّاد (أي مار بطرس):

والدستور البابوي الخاص بالإدارة الرومانية المعدّلة يُلقي أيضاً على عاتق أمانة سرّ الدولة تبعة السهر على نشر الأعمال والمستندات العامّة للكرسي الرسولي، التعميم للإتصالات الرسمية للحبر الأعظم والكرسي الرسولي بواسطة قاعة الصحافة الموضوعة تحت إشرافها وممارسة المراقبة على جريدة الأوسرڤاتوري رومانو وعلى الإذاعة وعلى محطة تلفزيون الڤاتيكان.

باختصار، تقدِّم أمانة سرّ الدولة، بتبعيتها المباشرة للمساعد الأول للكرسي الرسولي، عوناً لهذا الأخير في خدمته اليومية للكنيسة الجامعة وتؤمن الإتصالات الضرورية بالإدارة الرومانية ومختلف أجهزة الڤاتيكان.

وبصورة خاصة يرئس الكاردينال أمين سرّ الدولة لجان المفوضيات المشتركة الدائمة من أجل تسمية الأساقفة على رأس الكنائس الخاصة في مناسبات معينة ومن أجل الكنيسة في أوروپا الشرقية.

مكاتبها في الطابق الثالث من القصر البابوي، ويمكن الوصول إليها من باب البرونز ودرج پيوس التاسع وساحة سان ـ داماز والمصعد الكهربائي. للوكيل المفوض جناحه الخاص في القصر، غير أن أمين سرّ القسم الثاني المكلّف بالعلاقات مع الدول، مثل معاون أمانة سرّ الدولة البابوية، في بناء يشرف على الحدائق عند مقدمة كاتدرائية القديس بطرس.

III ـ الدبلوماسية البابوية

إن مهمّة القسم الثاني من أمانة سرّ الدولة هي الإنشغال بالعلاقات التي يجب أن تعالج مع الحكومات المدنية، وهو مكلف بالعلاقات مع الحكومات، خاصة المفاوضات ذات التأثير على التشريع المدني، أي بالدبلوماسية البابوية. يتوزع جهازه البشري على جدولين أو سجلين، دبلوماسي وإداري، ويتضمن، إجمالاً، ثلاثين مساعداً، أضيف إليها 1973 قاصداً رسولياً بمهمات خاصة، سرعان ما اعتبر سفيراً للڤاتيكان متجولاً. وبما أن الكرسي الرسولي هو السلطة العليا فهو يتمتع بحق التشريع المنفعل والفاعل. وبعبارة أخرى، بإمكانه أن يستقبل سفراء ويعين سفراء لدى الحكومات. تتألف الهيئة الدبلوماسية لدى الكرسي الرسولي، إجمالاً، من 146 سفيراً يضاف إليهم ممثل الإتحاد الروسي. 25 من أصل 146 سفيراً هم بدون ديوان قنصلية و 59 يقيمون باستمرار خارج روما و 62 في روما. ويقيم موظفون يتمتعون بالحصانة الدبلوماسية، في مدينة روما، لأن ضيق أرض الدولة الڤاتيكانية لا يسمح باستقبالهم داخل حدودها. وطالما أن البابوية تمارس فقط، استناداً إلى عبارة البابا بولس السادس أمام ممثلي الأمم المتحدة في نيويورك في 4 تشرين الأول/ أكتوبر 1965، سلطة زمنية

صغيرة وشبه رمزية، فإن تبادل الممثلين هذا، يعبر تعبيراً سامياً عن روح استقلالية وتعاون متبادل يميز العلاقات بين الكنيسة والدولة. إن وجود الكرسي الرسولي في صميم الحياة الدولية يحمل طابع أسلوب جديد في العلاقات يعتبر ممثلو الكرسي الرسولي من خلاله معتَمَدِين ممتازين.

يدعى سفراء البابا قصّاداً رسوليين. والدول التي ليس لها علاقة دبلوماسية مع الكرسي الرسولي يرسل إليها هذا مفوضين رسوليين يمثلونه لدى الكنائس المحلية. وفضلاً عن ذلك فإن المهمة الأولى للقصّاد الرسوليين استناداً إلى البراءة البابوية «الإهتمام بجميع الكنائس» التي أعلنها البابا بولس السادس في 24 حزيران/يونيو 1969 استجابة لقرار المجمع الذي عدّل في مجموعة الحق القانوني، قوانين 263 - 268.

وفي 1994 كان للكرسي الرسولي 145 مركزاً للقصّاد الرسوليين في العالم. وكثيراً ما يكون هؤلاء القصّاد معتَمدِين لدى أكثر من بلد وقد ضرب معتمد الأنتيل الرقم القياسي لأنه يقوم بمهامّه لدى عشرة بلدان. ويلحق بهذه المراكز تمثيل البابا لدى الإتحاد الروسي. والقاصد الرسولي هو، قانونياً، عميد السلك الدبلوماسي حسب اتفاق ڤيينا لسنة 1815 الذي أكّدته اتفاقات ڤيينا الحديثة لـ 1961 لكن هذا الإتفاق لم تعترف به جميع الدول، وعدد البعثات الرسولية هو 15.

وكان البابا، منذ القدم، يتمثل في المجامع بواسطة مبعوثين يُدعَون ممثلي البابا (Légats) يُختارون من بين أعضاء الإكليروس الروماني من الأسقفيات الإيطالية المرتبطة مباشرة بالكرسي الرسولي. وابتداء من القرن الحادي عشر عهد بهذه القصادات، نظراً إلى أهميتها، إلى كرادلة يُدعون سفراء فوق العادة. (Legata Latere) وسمّي قصداء (Nonces) رجال دين برتبة أساقفة يكلّفون بمناقشة الشؤون ذات الصّفة الخاصة. وظهرت السفارات الدائمة في القرن السادس عشر لدى مملكة أو جمهورية أو إمارة مستقلة.

وكان السفراء يكلَّفون حينئذٍ بتمثيل الكرسي الرسولي متمتعين بسلطة قضاة من فئة محددة. . . وبمناقشة المسائل الدينية والسِّياسية مع الحكومات المعتمدين لديها.

وبقراءتنا للمجموعة الضخمة «أعمال السفراء» التي نشرت بمبادرة من يوحنا الثالث والعشرين بالتضامن مع الجامعة الحبرية الغِريغورية والمدرسة الفرنسية في روما، نستطيع أن نحدد بشكل أفضل كم كان للنفوذ الزمني للدول البابوية من تأثير على نشاط الدبلوماسية البابوية التي دافع ممثلوها عن مصالح سيِّدهم. ومع الزمن الحديث أصبح همُّهم السائد البحث عن طلاب للأسقفية صالحين يقدمونهم للبابا ليختار منهم من يشاء. وكان آباء المجمع الڤاتيكاني الثاني يتمنون أن تكون «مهمة سفراء الحبر الروماني محددة تحديداً واضحاً». ويلبي كلام البابا بولس السادس هذا التمني:

«إن المسؤولية الأساسية والخاصة للسفير البابوي هي تمتين وتفعيل علاقات الوحدة القائمة بين الكرسي الرسولي والكنائس المحلية. وتشرح، بالتالي، اهتمام الحبر الروماني بخير الأمة التي توجد فيها السفارة، خاصة بالمسائل ذات العلاقة بتطور الشعوب وتعاونها وكل ما يمس رفع مستوى الخير العام الروحي والأخلاقي والاقتصادي للعائلة الإنسانية».

إن ممثلي الكرسي الرسولي مدعوون إلى ممارسة وظيفتهم بتعاون وثيق مع المؤتمرات الأسقفية دون أن يتجاوزوا صلاحياتها وخاصة في مسألة اختيار الأساقفة وإنشاء أسقفيات جديدة. وعليهم أن يكونوا أدوات ممتازة للاتصال بين الكنائس المحلية وحبر روما. لقد كتب البابا بولس السادس: «من الواضح أنه بمقابل حركة تنطلق من الأطراف إلى الوسط الذي هو قلب المدينة يجب أن تستجيب حركة أخرى تنطلق من القلب نحو الأطراف وتصل إلى كل الكنائس وكل كنيسة، إلى كل الرعاة والمؤمنين وإلى كل راع ومؤمن».

يتم إعداد ممثلي الكرسي الرسولي في الأكاديمية الدبلوماسية الحبرية، وهي الأكاديمية الخاصة بنبلاء رجال الدين التي أسسها كليمنس الحادي عشر 1701 وأصلحها پيوس السادس 1775 ولاون الثاني عشر 1829 ولاون الثالث عشر 1879 وپيوس الحادي عشر 1937. فمنجم أومستنبت الدبلوماسيين البابويين هذا القائم في ساحة مينرڤا رقم 74 وراء الپانتيون، طالما رفدته بالعناصر دائرة ضيقة ولكنه اتسع الآن باتساع أبعاد الكنائس المحلية ومن ضمنها العالم الثالث. وقد وُجِّه نداء إلى المؤتمرات الأسقفية لكي ترسل كهنة شباناً مؤهلين لممارسة هذه الوظيفة الحبرية والرعوية قبل أن يصبحوا دبلوماسيين.

وقد أعلن البابا بولس السادس، الذي هو نفسه أحد طلاب الأكاديمية القدامى (1922 - 1926)، إلى الطلاب المجتمعين حوله في 23 شباط/ فبراير 1971 قائلاً:

«شجعوا الأساقفة والجماعات الكنسية، حافظوا على القيم الدينية دافعوا عن الإنسان وحقوقه الثابتة. اعملوا على رفع مستوى السلام الحقيقي: هذه هي الدبلوماسية التي تحاول الكنيسة اليوم نشرها في العالم عبر نشاط يجدر بنا أن نقول إنه غير معروف جيداً، إذ إنه يثير اعتراضات حتى بين أعضاء الإكليروس وجماعة العلمانيين. هذا النشاط ضروري وقيِّم بالنظر إلى الفرص التي يقدمها للكنيسة لكي تدافع عن رسالتها وتمارسها حتى وسط أغرب المواقف وأصعبها».

ومن أجل عقد صِلاتٍ مفيدة للكنيسة كما لخير الشعوب وسلام العالم، إنما تمارس الدبلوماسية البابوية بثبات وعناد. وفوق ذلك وبما أن الوضع هو وضع خاص بالكرسي الرسولي، وليس بدولة حاضرة الڤاتيكان، فهو عضو له كامل حقوق المجموعة الدولية حيث دعي ليجلس ويعمل على مستوى واحد مع الدول.

إن سياسة الإنفتاح هذه نفَّذت توجيهات البابا بولس السادس في رسالته بعنوان «كنيسته» حول الطريق المفضلة التي تفتح أمام الكنيسة لإنجاز رسالتها، أي الحوار:

«يجب قبل التكلم الإصغاء إلى صوت الإنسان بل إلى قلبه، وتَفَهُّمِهِ واحترامه بقدر الإمكان، ومماشاته حيث نراه أهلاً لذلك. إن مناخ الحوار هو الصداقة أو بالأحرى الخدمة».

هذا الحوار يستنكر القدح والذم ويفتح الباب على التسويات الرضائية ويحثّ على الثقة والاحترام المتبادلين.

وانطلاقاً من هنا وقع الكرسي الرسولي وإسرائيل في 30 كانون الأول/ ديسمبر 1993 الإتفاق التاريخي الذي يعترف بحرية الضمير والدِّين وحرية العبادة واحترام الأماكن المقدسة. وتعهدت القوتان بالتعاون من أجل محاربة كل أشكال اللاسامية والعنصرية والاضطهاد الديني ومن أجل التشجيع على التفهم المتبادل بين الأمم والتسامح بين المجموعات البشرية واحترام الحياة والكرامة الإنسانيتين.

IV ـ الحضور الدولي للكرسي الرسولي

إن ممارسة الحذر في هذه النصوص الغريبة التناقض يحثّ ممثلي الكرسي الرسولي على العمل ليس فقط بإزاء الحكومات ولكن أيضاً بإزاء المنظمات الدولية الكبرى مثل: منظمة الأمم المتحدة في نيويورك والأونيسكو في باريس، ومنظمة العمل الدولية (O.I.T.)[1] ومنظمة الصحة العالمية (O.M.S)[2] في جنيف ومنظمة الأغذية والزراعة (F.A.O) في روما، والمجلس الأوروبي في ستراسبورغ والمجموعات الأوروبية في

(1) Organisation Internationale du Travail.

(2) Organisation Mondiale de la Santé.

بروكسل. وقد تطور هذا الحضور العالمي للكرسي الرسولي بشكل عظيم بدافع من البابا بولس السادس والبابا يوحنا بولس الثاني. وإن قسم العلاقات الدولية داخل أمانة سرّ الدولة يشغل مركزاً يتعاظم يوماً بعد يوم للإعداد لمشاركة الكرسي الرسولي، بالإتصال مع الأجهزة الرومانية، في اللقاءات التي يدعى إليها للمساهمة بواسطة إحدى البعثات، حوالي 200 دورة في السنة.

والكرسي الرسولي حاضر، بواسطة مبعوثيه، في الوكالة الدولية للطاقة النووية وفي منظمة الأمم المتحدة للتطوير الصناعي في ڤيينا، وفي منظمة السياحة العالمية وفي المؤسسة الدولية لتوحيد الحق الخاص وفي اللجنة الدولية للعلوم التاريخية والپاليوغرافيا (علم قراءة النصوص) وتاريخ الفن والعلوم الإنسانية وعلم السلالات وحياد الطب والدروس الهادفة إلى حفظ وإحياء التراث الثقافي والمجلس الدولي للأبنية والمناظر الطبيعية. وهو عضو في اللجنة التنفيذية لبرنامج المفوضية العليا للاجئين التابعة للأمم المتحدة وفي اللجنة المشتركة للحكومات الخاصة بالهجرات الأوروپية. والكرسي الرسولي، كموقِّع على الإتفاقات الدولية في جنيڤ، يسهم في مؤتمرات الصليب الأحمر وهو يهتم بتقديمات منظمة الأمم المتحدة للطفل ووكالة الأمم المتحدة للإغاثة والعمل. والصندوق الخاص التابع للأمم المتحدة للمساعدة التقنية ومكافحة الحمّيات إلخ...

وقام البابا بولس السادس والبابا يوحنا بولس الثاني بزيارات رسمية إلى منظمة الأمم المتحدة ومنظمة العمل الدولية ومنظمة الأغذية والزراعة والأونيسكو ومحكمة العدل الدولية في لاهاي. وصرَّح البابا بولس السادس، في 4 تشرين الأول/ أكتوبر 1965 أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في نيويورك بما يلي:

«إننا كخبراء في الشؤون الإنسانية نحمل لهذه المنظمة موافقة أسلافنا الأدنَيْن وموافقة الأسقفية الكاثوليكية وموافقتنا، كما أننا مقتنعون بأن هذه

المنظمة تمثل الطريق الحتمية للتمدّن الحديث وللسلام العالمي».

إن البابا يوحنا بولس الثاني، ضمن الخط المستقيم لتدخلاته السابقة، تجنّد للدفاع عن حقوق الإنسان أمام المنظمات العالمية. ويعلن في 2 تشرين الأول/أكتوبر 1979 أمام ممثلي الأمم المتحدة في نيويورك قائلاً:

«إن روح الحرب تذر بقرنها هناك حيث تُنْتَهَك حقوق الإنسان الثابتة». فلا سلام ممكناً حيث تنتهك الحقوق الماديّة والروحية لكل إنسان ولكل الإنسان ومن ضمنها بُعْدُه الديني:

«إن المواجهة بين المفهوم الديني للعالم والمفهوم اللاأدري أو حتى الملحد التي هي إحدى علامات الأزمنة يمكنها أن تحتفظ بالأبعاد الإنسانية الصادقة والموقرة دون أن تسيء إلى الحقوق الأساسية لضمير كل رجل وكل امرأة يعيشان على الأرض».

وكرّر يوحنا بولس الثاني، أمام الأونيسكو، في 2 حزيران/يونيو 1980 في باريس، كرر بانفعال مؤثر هذا الدفاع عن الإنسان الكامل:

«الإنسان الذي يعيش في الوقت نفسه في خضم القيم المادية والقيم الروحية. إن احترام الحقوق الثابتة للفرد الإنساني هو في أساس كل شيء».

وقد تميز بالدفاع عن سيادة المجتمع الأساسية مما تجلى في حضارة الأمة، دفاع ألقي بقوة تحتويها هذه الكلمات:

«الكرسي الرسولي ابن أمّة عاشت أعظم تجارب التاريخ وحكم عليها جيرانها بالموت مرّات عدة، ولكنها بقيت على قيد الحياة وظلت كما هي. لقد احتفظت بهويتها وحافظت، بالرغم من الإنقسامات والاحتلالات الأجنبية، على سيادتها القومية، ليس باعتمادها على منابع القوة المادية

ولكن فقط باعتمادها على ثقافتها. وتجلت هذه الثقافة، والحال هذه، في طاقة أعظم من سائر القوىٰ جميعاً».

هذا هو معنى الدبلوماسية الحبرية اليوم في العالم: حوار منفتح على جميع الحكومات واستفتاء الرأي العام أمام المنابر العالمية الكبرى، في البحث الدؤوب عن جميع حقوق الإنسان، بدءاً بالحرية الدينية محك سائر الحريات. ليس لسياسة الڤاتيكان من هدف سوى: الله والحرية.

الفصل الخامس

الـدوائـر الـرومـانيـة

تنظيمها

لجان دائمة من الكرادلة تعمل، منذ القرن السادس عشر، على مساعدة البابا في عمله الرعوي في خدمة الكنيسة الجامعة وقد تكيّف تنظيمها استجابة لطلب المجمع الڤاتيكاني الثاني:

«ويتمنّى آباء المجمع المقدّس أن تكون أجهزة الإدارة الرومانية، التي أدّت للحبر الروماني ولرعاة الكنيسة خدمة جليلة، خاضعة لتنظيم جديد أكثر التصاقاً بحاجات الأزمنة والبلدان والطقوس لا سيّما فيما يعني عددها واسمها وأهليتها ومناهجها الخاصة بالعمل وتنسيق أعمالها» (مرسوم المسيح الإله تاريخ 28 تشرين الأول/ أكتوبر 1965، حول الأعباء الرعوية للأساقفة).

كل دائرة يشرف عليها كردينال رئيس يعاونه أمين سرّ ومعاون أمين سرّ وكلاهما مثله يعيّنهما الحَبر الأعظم. ويجب على البابا الجديد أن يثبّتهم في وظائفهم بعد ثلاثة أشهر من انتخابه. وتُعالج المسائل الحبرية أثناء الإجتماعات التي تضم، تحت سلطة الرئيس، كل أعضاء الدائرة. والدوائر جميعاً متساوية قانونياً. وتعرض نزاعات الإختصاص المتوقعة على محكمة الڤاتيكان العليا. ويُعيَّن أيضاً لمدة خمس سنوات قابلة للتجديد، مستشارون يُختارون بمراعاة معيار العالمية بقدر الإمكان وأساقفة مقيمون وذوو ألقاب وكهنة رعايا ورهبان وعلمانيون مشهود لهم بالعلم والفطنة.

يعبرون عن آرائهم كتابة إلاَّ إذا كانوا يفضلون الاجتماع. وفضلاً عن ذلك، فإن من المتَّفق عليه أن يستشار كل شخص كفء في قضية ما وأن يسمع رأيه سواء كان من ذوي الخبرة أم لم يكن. والمسائل التي يجب أن تعالج قضائياً تُنْقَل إلى المحاكم المختصة.

على كل دائرة أن تُعِدَّ إحصاءاتها الخاصة وتحملها إلى مكتب الإحصاء المركزي في الكنيسة، ويجب أن تأخذ في الحسبان تمنّيات المؤتمرات الأسقفية وأن تظل على اتصال مع المؤسسات الأسقفية المشتركة والمناطقية التي هي من الطبيعة ذاتها. والإدارة الرومانية مدعوّة إلى أن تستخدم لأعمالها، مع اللغة اللاتينية، اللغات الكبرى المستعملة في العالم. تُسوَّى قضايا الساعة بمسعى من الأعضاء الدائمين. وعندما يصل الملف إلى الدائرة يسجل ويتدارسه أحد المحررين على ضوء السوابق التي تؤخذ من الأرشيف والآراء التي يطلبها عند الحاجة، من مستشار أو عدة مستشارين، ثم يعد القرار الذي يخضع نصه لموافقة أمين السرّ الذي يلقي نظرة عليه ويوقعه هو أيضاً، أو يقدّمه إلى الكردينال الرئيس لتوقيعه.

وإذا كانت القضية أكثر أهمية تعرض على المؤتمر، الاجتماع الأسبوعي لمساعدي الدائرة الأساسيين. وإذا دعت الحاجة تعرض المسألة للدرس على أعضاء الدائرة، الكرادلة والأساقفة، الذين يرسل إليهم أهم ما في الملف بشكل نسخ مكتوبة على الآلة الكاتبة أو مطبوعة... ويكلف أحد هؤلاء، المدعو مقرراً، بعرض القضية. وفي نهاية تقريره، يعطي رأيه كما يفعل الجميع قبل التصويت الذي تنقل نتيجته إلى البابا عند أول اجتماع بمسؤول الدائرة. ينحصر دور موظفي الدوائر، أساساً، في تحضير قرار الأعضاء، من كرادلة وأساقفة، ثم تنفيذه بعد موافقة البابا. تلك هي الإدارة المركزية في الكنيسة: إدارة تراتبية مرتبطة مباشرة بالأب الأقدس الذي يستعين، في تنفيذ مهماته المتعددة، بمساعدين يختارهم من ضمن هيئة الأحبار، وهم موظّفو الإدارة الرومانية التي تمارس دوراً عقوقاً بقدر

ما هو ضروري وهو تحضير وتنفيذ المقررات استناداً إلى القواعد التي حددها النظام العام للإدارة الرومانية الذي يتضمن 130 مادة وثلاثة ملحقات ونشر في 4 شباط/ فبراير 1992. وعندما توجّه البابا يوحنا بولس الثاني في 28 حزيران/ يونيو 1980 إلى مجموعة معاونيه من كرادلة وأحبار وراهبات ورهبان وعلمانيين، شكرهم على «تعاونهم الفريد مع إدارة القديس بطرس في الكنيسة الرومانية»:

I ـ دائرة العقيدة الإيمانية

إن دائرة العقيدة الإيمانية، الوريثة البعيدة لدائرة التفتيش التي أسسها البابا بولس الثالث 1542 لمكافحة الهراطقة، والتي أصبحت من ثم محكمة التفتيش، هي أوّل أعضاء الإدارة الرومانية التي حولتها الإدارة الرسولية المعنونة «لتحفظ تامة» المنشورة عشية اختتام المجتمع في 7 كانون الأول/ ديسمبر 1965، استناداً إلى التمنِّي الذي صاغه المجمع ذاته بعبارات حيّة قوية. إن مهمتها هي تنشيط وحماية العقيدة الإيمانية والأخلاقية في العالم الكاثوليكي بأسره. وهي تعمل على تشجيع الدروس التي تهدف إلى تطوير معنى الإيمان لتستطيع على ضوئه، الإستجابة إلى المسائل الجديدة الناشئة عن تطور العلوم والمدنية، وهي تساعد الأساقفة في التمرس بوظيفتهم كمعلمين حقيقيين وعلماء في الإيمان. وتتفحص وترفض الكتابات والآراء التي تبدو مناقضة لصحة الإيمان. وإذا بدت هذه الكتابات مخالفة لتعاليم الكنيسة فإن الدائرة ترفضها بعد أن تعطي مؤلِّفها إمكانية شرح فكرته شرحاً وافياً وبعد أن تلفت انتباه أسقف أبرشيته. وهي ذات صلاحية في مادة نعمة الإيمان التي تعني الإعفاءات الزوجية (النعمة البولسية والبطرسية) وفي كل خطيئة ضد الإيمان، وفي الدفاع عن حرمة سرّ التوبة. إنها تقوم بإجراءات إدارية أو قضائية تبعاً لنوع القضايا المطروحة للمعالجة.

وتألفت إلى جانب الدائرة اللجنة اللاهوتية الدولية التي تضم 30

عضواً ولجنة الكتاب المقدس المؤلفة من 20 اختصاصياً يعينون لمدة خمس سنوات نزولاً عند اقتراح المؤتمرات الأسقفية مثل أعضاء اللجنة اللاهوتية. وعندما استقبل البابا بولس السادس لجنة الكتاب المقدس للمرة الأولى في 14 آذار/مارس 1974 توجه إليهم بالكلام قائلاً: إن المسألة هي تنشيط التعاون السليم داخل أجهزة الكرسي الرسولي ـ وربما نقول نوع من التعاون المنضبط ـ بين اختصاصيِّي تفسير الكتاب المقدس واختصاصيِّي سائر المواد اللاهوتية في خدمة مشتركة لحكمة الإيمان.

مكاتب الجمعية موجودة في قصر محكمة التفتيش (سابقاً) (سان ـ أوفّيس)، ساحة سان ـ أوفّيس وراء أعمدة برنيني.

II ـ دائرة الكنائس الشرقية

للدائرة التي كانت تسمَّى إلى حينه دائرة الكنيسة الشرقية ـ الانتقال إلى صيغة الجمع له مغزاه ـ تاريخ أكثر حداثة. لقد أسَّسها في شكلها الأساسي البابا پيوس التاسع 1862 كفرع شرقي من المجمع المقدس لنشر الإيمان، وأصبحت ذات استقلال ذاتي بقرار من البابا بِنْوَا الخامس عشر 1917. وتوسَّعت صلاحياتها 1938 أيام البابا پيوس الحادي عشر الذي عهد بإدارتها إلى الكردينال أوجين تيسِّران الذي تسلم هذا المنصب لحوالي ربع قرن. والدائرة مكلفة بكل ما يعني الأسقفيات ذات الطقس الشرقي: أساقفة، إكليروساً، رهباناً ومؤمنين؛ وتقتصر سلطتها القضائية على مصر وشبه جزيرة سيناء وأريتريا والحبشة الشمالية وألبانيا الجنوبية وبلغاريا وقبرص واليونان وإيران ولبنان وفلسطين وسوريا والأردن وتركيا وأفغانستان. علاوة على الكرادلة والأساقفة الشرقيين السبعة الذين يعيِّنهم البابا والبطاركة ورؤساء الأساقفة الكبار في الكنائس الشرقية الذين هم أعضاء لهم حقوقهم في هذه الجمعية وكذلك رئيس المجلس المنوط به السعي إلى وحدة المسيحيين. ويتم اختيار المستشارين والموظفين بطريقة

تأخذ بعين الإعتبار، بقدر الإمكان، جميع المذاهب. وعلى الدائرة أن تعمل بتوافق تام مع المجالس الساعية إلى رفع مستوى الوحدة والحوار بين الأديان من مواد اختصاصها على ضوء المراسيم المجمعية الخاصة بالكنائس الشرقية الكاثوليكية وبالمسكونية، أي تجديد الوحدة.

يتوزع المؤمنون بين المذاهب الإسكندرية التابعة لكنيسة الإسكندرية (الأقباط، الأحباش، الأريتريون)، والمذاهب الأنطاكية (مالنكاريون[1]، موارنة) والسريان والكلدانيين والملباريين والبيزنطيين والألبانيين والبيلوروسيين (سكان روسيا البيضاء) والبلغار، والجورجيين (سكان جورجيا) والهنغاريين واليونان والإيطالو - ألبانيين والملكيين والرومانيين (من رومانيا) والروس والروتانيين (نسبة إلى روتانية وهي منطقة في أوكرانيا) والسلوڤاكيين والأوكرانيين والصرب.

وما عدا المعهد الحبري للعلوم الشرقية الذي أسَّسه البابا بنوا الخامس عشر ويديره اليسوعيون هناك مدارس حبرية في روما للأرمن (1883) والأحباش (1919) واليونان (1576 والروس (1929) والأوكرانيين، إحداهما كبيرة تدعى باسم القديس يوشافاط (1897) والأخرى صغيرة (1963). ويستقبل معهد مار يوحنا الدمشقي (1940) الكهنة الشرقيين الذين يتلقون دروساً عالية في روما.

توجد مكاتب الجمعية في قصر برامونت. جادة الوفاق رقم 34. وهي تصدر «نشرة دائرة المعلومات حول الكنائس الشرقية (SICO)».

III - دائرة العبادة الإلٰهية وتعليم الأسرار

جاءت هذه الدائرة نتيجة لتوحيد الدائرة القديمة التي أسَّسها البابا بيوس العاشر من أجل تعليم الأسرار (دستور «بمعرفة من المجمع» تاريخ

(1) طائفة مسيحية في جنوبي غربي الهند. تنتمي إلى الكنيسة السريانية الكاثوليكية. - م -.

29 حزيران 1908) والدائرة الجديدة للعبادة الإلٰهية التي أسَّسها البابا بولس السادس غداة إصلاح الطقوس الذي أقره المجلس المسكوني الڤاتيكاني الثاني. تشمل سلطتها القضائية حدود الكنيسة اللاتينية بكاملها ومن ضمنها الأرض التابعة لجمعية تبشير الشعوب وقضايا الزواج (عدم إتمامه) وصحة الوسامات الكهنوتية. والسلطات المتزايدة التي منحها البابا بولس السادس للأساقفة بموجب براءة «المهمة الكهنوتية» تاريخ 30 تشرين الثاني/نوڤمبر 1960 قلصت، إلى حد كبير، ملفات إجازات منع الزواج التي كانت وفيرة فيما مضى.

وتشجع الدائرة العمل الكهنوتي الطقسي وخاصة إحياء سرّ الإفخارستيا (القربان المقدس)، وهي تعيد النظر في النصوص الليتورجية (الطقسية) والروزنامات الخاصة والطقوس الخاصة بالكنائس المحلية وتوافق عليها وتشجع اللجان والمعاهد التي أنشئت لرفع مستوى الرسالة الطقسية.

وتمتلك الجمعية حقيقة لاهوتية مظهرها الطقسي الثقافي والرعوي مرتبط إرتباطاً لا ينفصم بالمظهر القضائي التنظيمي.

تقع مكاتب الجمعية في ساحة البابا پيوس الثاني عشر رقم 10 وهي تصدر نشرة شهرية عنوانها «الأخبار».

IV ـ دائرة قضايا القديسين

تعالج الدائرة الخاصة بقضايا القديسين، تحت إشراف رئيس برتبة كردينال وأمين سرّ ومعاون أمين سرّ، كل ما يسمح بتطويب خدام الله (القديسين) استناداً إلى الإجراءات المنصوص عنها في الدستور البابوي، المدعو «المعلِّم الإلٰهي للكمال» تاريخ 25 كانون الثاني/يناير 1983. وهي تساعد أساقفة الأبرشيات في تعليم قضايا خُدَّام الله: المحاكمة الكنسية، تفحّص الكتابات، الحكم على بطولية الفضائل والعجائب ومجمل

العمليات المعقدة والتي تسبق حكم الكرادلة النهائي.

يجري هذا العمل بإدارة وإشراف مقررين. ويخضع الموقف المتخذ لتدقيق اللاهوتيين وعلى رأسهم المحامي العام عن الإيمان أو الأسقف اللاهوتي ثم الكرادلة والأساقفة أعضاء الدائرة. ويعود الحكم النهائي على بطولية الفضائل أو الشهادة إلى القديس بطرس الذي يأمر بنشر المراسيم المتعلقة بالموضوع. وهو يرئس بنفسه الدائرة العامة وهو يباشر الاحتفال الرسمي الخاص بإعلان القداسة المقررة في اجتماع الكرادلة للتأكيد على أهميتها. وقد ذكَّر المجمع ملِحّاً بالدعوة العالمية إلى القداسة في الكنيسة:

«إن الكنيسة بحاجة إلى قديسين كما أن العالم بحاجة إليهم أيضاً». فهي لهذا تتخذ الكثير من الضمانات للتثبت من حياة مقدَّسة ولتقترحها قدوة للمؤمنين.

ويعود إليها أن تبدي رأيها بلقب عالم كنسي لتنسبه إلى القديسين: وأعطيَ هذا اللقب للمرة الأولى في التاريخ لامرأتين: القديسة تريزيا دافيلا والقديسة كاترين دو سيان في 5 آذار/مارس 1970. وأخيراً هي التي تقرر كل ما يمس إعلان صحة الذخائر المقدسة وحفظها.

تقع مكاتب الدائرة في ساحة البابا بيوس الثاني عشر رقم 10.

V ـ دائرة الأساقفة

كانت تدعى قديماً الدائرة المجمعية، لأنها كانت في الأصل، مكلفة بتحضير أعمال مجمع الكرادلة أو جمعية الكرادلة، المجتمعين حول البابا لشؤون الحياة الخطيرة في الكنيسة. أسّسها سيكستس الخامس 1588 ووسَّع البابا بيوس العاشر صلاحياتها 1908. دورها هام جداً لأنها مكلفة كل ما يعني الأساقفة والأسقفيات في الكنيسة اللاتينية آخذة في الإعتبار صلاحية دائرة تبشير الشعوب. عدد الأساقفة الإجمالي هو 4196 منهم 3083 من

إكليروس الرعايا و 1113 راهبة وذلك سنة 1994.

ومن صلاحياتها تنفيذ كل ما يعود إلى تأسيس الكنائس الخاصة ومجالسها وانقسامها واتحادها وإلغائها وتغيرات أخرى بعد أن تكون قد استشارت القسم الثاني من أمانة سرّ الدولة عندما تحتاج إلى التعاطي مع الحكومات. وفضلاً عن ذلك فإن الكردينال أمين سرّ الدولة هو الذي يرئس لجنة الجمعيات المشتركة الدائمة لتعيين أساقفة الكنائس ذات الوضع الخاص. وكذلك تأسيس وتغيرات هذه الكنائس وأجهزتها البشرية. تنشىء الدائرة أسقفيات محلية في الجيوش من أجل الخدمة الكهنوتية للعكسريين وأسقفيات شخصية. وتُعِدّ لتعيين الأساقفة والإداريين ومعاوني الأساقفة والمساعدين وقسس في الجيش وغيرهم من الأحبار الذين يتمتعون بسلطة قضائية خاصة. تتخذ الترتيبات الملائمة لإحياء المجامع الخاصة ولعقد مؤتمرات أسقفية ولإعادة النظر في أوضاعها. وتتلقى أعمال ومراسيم هذه الجمعيات العمومية وتقرّها بعد استشارة الدوائر المعنية.

وترتبط بها اللجنة الأسقفية لأميركا اللاتينية. يرئسها رئيس الدائرة ودورها أن تساعد، بالمشورة والوسائل الاقتصادية، الكنائس الخاصة في أميركا اللاتينية وتسهر على دراسة المسائل التي تعني حياتهم ونموّهم. ويعود إليها أيضاً تشجيع العلاقات بين المؤسسات الكنسية الدولية والقومية التي تعمل من أجل مناطق أميركا اللاتينية ودوائر الإدارة الرومانية.

وتساعد الدائرة الأساقفة الذين يقومون بزيارات دورية إلى الأعتاب الرسولية وخاصة من أجل ترتيب لقاء مع الحبر الأعظم ومحادثات أخرى وزيارات مقدسة. وتدقق في التقارير الخمسية وتنقل إلى الأساقفة النتائج المتعلقة بأبرشياتهم (الأبرشية هي المنطقة الواقعة ضمن صلاحية الأسقف). يخصص دستور «الراعي الصالح» خمس مواد وملحقاً للمعنى الرعوي لهذه الزيارات التي لها أهمية خاصة في حياة الكنيسة. تقع مكاتب هذه الدائرة في ساحة البابا پيوس الثاني عشر رقم 10.

VI ـ دائرة تبشير الشعوب

تأسست هذه الدائرة من لجان الكرادلة التي أنشأها پيوس الخامس وغريغوريوس الثالث عشر من أجل الإرساليات الموجهة إلى الهند الشرقية والهند الغربية ومن أجل الإيطاليين ـ اليونانيين والقضايا الكنسية في المناطق البروتستانتية من أوروپا. أسّس البابا كليمنس الثامن 1599 دائرة نشر الإيمان التي ظلت قائمة حتى 1602. وبعد أن زالت لبعض الوقت أحياها من جديد، دائرة «ثابتة»، دستور غريغوريوس الخامس عشر 22 حزيران/ يونيو 1622 لنشر الإيمان في العالم الذي لم تصله بعد بشارة الإنجيل. ومن واجبها أن توجه وتنسق، في العالم أجمع. وإستناداً إلى نصوص المرسوم المجمعي بعنوان «باتجاه الأمم» الخاص بنشاط الكنيسة الرسولي، تبشير الشعوب بالإنجيل والتعاون الرسولي، لكون اختصاص الدائرة في شؤون الكنائس الشرقية سليماً.

إن صلاحية الدائرة محصورة في الحقول المسماة حقول الرسالة، حيث تمارس سلطات الدوائر الأخرى باستثناء عقائد الإيمان، وهذه الحقول هي الكنائس الشرقية والعبادة الإلٰهية وتعليم الأسرار وقضايا القديسين ومؤسسات الحياة المكرّسة ومجتمعات الحياة الرسولية والتربية الكاثوليكية والجامعات. وتسهر هذه الدائرة مع توجيهها وتنسيقها لنشاط الإرساليات في الكنيسة على رفع مستوى الإكليروس الأصيل. وبصرف النظر عن التحدث عن جامعة المدينة ومعهد المدينة في روما فإن 387 مدرسة إكليريكية صغيرة و87 إكليريكية كبيرة تابعة لها. وهي تدأب، في الوقت نفسه، على تطوير روح رسولية في قلب الكنيسة وعلى إيقاظ دعوات الرجال والنساء الضرورية جداً للتبشير بالإنجيل. وتحثّ بكل الوسائل المناسبة، على الغيرة والصلابة من أجل الإرساليات وتعيد توزيع المرسلين وتنسق توزيع المداخيل وتؤمن لطلاب المدارس الإكليريكية التنشئة الرسولية.

«إن الكنيسة هي بكليتها رسولية والعمل التبشيري هو الواجب الأساسي لشعب الله». إن المجمع، بتذكيره بهذا المبدأ، يشير إلى مسؤولية الأساقفة المجمعية في نشر الإنجيل في كل مكان من الأرض وبالتالي القسط الذي يجب أن يضطلعوا به في تنظيم النشاط الرسولي (باتجاه الأمم، فصل 5 رقم 29).

ومن أجل تنمية هذا التعاون الرسولي، خاصة عبر تبرعات قيِّمة وتوزيع عادل للمداخيل، تستخدم الدائرة، على وجه الخصوص، مؤلفات الأعمال الحبرية الرسولية «أي نشر الإيمان ومار بطرس الرسول والطفولة المقدسة واتحاد الكهنوت الرسولي».

وثمة مصلحة إدارية تدير الأملاك على أن تطلع على ذلك، الإدارة الاقتصادية التابعة للكرسي الرسولي، وتذاع الأخبار الإعلامية الرسولية بانتظام عبر نشرة تصدر كل أسبوعين وتنشرها بخمس لغات، الوكالة العالمية «الإيمان» وعبر مقالات تصدرها كل شهر باللغات الفرنسية والإنكليزية والإيطالية والإسبانية تحت عنوان «كل الأرض» إتحاد الكهنة الرسولي. ويجب التنويه، إلى جانب ذلك، بنشرات مختلفة: حوليات، المكتبة الرسولية، البيبليوغرافيا الرسولية، دفاتر: وثائق ومسائل رسولية، ومجموعة الأعمال الحبرية. وضع الإكليريكيات المحلية.

تقع مكاتب الدائرة في قصر نشر الإيمان ميدان سپاغنا رقم 48.

VII ـ دائرة الإكليروس

كان البابا پيوس الرابع قد أسّس دائرة المجمع القديمة 1564 من أجل السهر على التفسير الصحيح للأنظمة التي وضعها مجمع ترانت ومراقبتها مراقبة عملية ووسع صلاحياتها غريغوريوس الثالث عشر وسيكستس الخامس. والدائرة مختصة بكل ما يهم حياة الأسقفيات الرعوية وبالأشخاص والبنى ووسائل خدمتهم. وهي تدعو، في نطاق احترام حق

الأساقفة ومؤتمراتهم، إلى تشجيع تنشئة ثابتة للإكليروس وتسهر على إعادة توزيع مناسب للكهنة. ولكن مدير دائرة التربية الكاثوليكية هو الذي يرئس لجنة الإدارة المشتركة الدائمة من أجل توزيع أكثر عدالة للكهنة في العالم: 258 590 كاهن أبرشية و 145 441 راهباً ما مجموعه 404 031 سنة 1994 و 17 925 شماساً أبرشياً و 483 شماساً رهبانياً فيكون مجموعهم 18 408 رهبان مع إيقاع نمو سريع.

وتعالج الدائرة مسائل صلاحية الكرسي الرسولي للمجالس الكهنوتية ومجمع المستشارين ومجالس الكهنة القانونيين والمجالس الرعوية والرعايا والكنائس والمعابد وجمعيات الإكليروس والمحفوظات الكنسية.

وتسهر على رفع مستوى تنشئة المؤمنين دينياً، وخاصة التنشئة المتعلقة بالتعليم الديني، وتسلم بالإقرار المطلوب بشأن التعاليم المسيحية بالإتفاق مع دائرة العقيدة الإيمانية، وتسهر على إدارة الأملاك الزمنية للكنيسة إدارةً سليمة من مثل: المؤسسات التَّقويّة، المزارات، الكنائس، المعابد، التراث الفني، وعلى معيشة رجال الإكليروس وحمايتهم الاجتماعية.

وقد أضيف إليها، منذ حبرية بنوا الخامس عشر 1919، جناح يتيح للكهنة الذين يتابعون دراستهم في روما أن يكتسبوا معرفة في تطبيق الشرائع الكنسية في المجال الإداري وإنجاز الأمور الكنسية إنجازاً نظامياً. ومنذ حبرية بولس السادس (1973) ضمَّ إليها المجلس العالمي الخاص بالتعليم الديني، لخدمة الكرسي الرسولي والمؤتمرات الحبرية.

مكاتب الدائرة تقع في ساحة پيوس الثاني عشر رقم 3.

VIII ـ دائرة مؤسسات الحياة المكرَّسة وجمعيات الحياة الرسولية

أسَّس البابا سيكستس الخامس دائرة الرهبان ثم ضُمَّت إلى دائرة

الأساقفة 1601 لتشكل دائرة الأساقفة والرهبان وظل هذا المذهب التوحيدي ثابتاً حتى جاء پيوس العاشر الذي فصل المؤسستين من جديد.

وثبّت يوحنا بولس الثاني بعد بولس السادس هذا الوضع وغيّر اسم الدائرة المؤلفة من فرعين تخضع كل منهما لسلطة نائب أمين سرّ مباشرة وتتبع لكردينال رئيس ولأمين سرّ.

إن المهمة الخاصة بالدائرة هي رفع مستوى وتنظيم ممارسة المشورات الإنجيلية حيث تمارس في الأشكال المستحسنة للحياة المكرسة. وكذلك نشاط جماعات الحياة الرسولية في الكنيسة اللاتينية بكاملها، في المؤسسة القديمة كما في المؤسسة الأحدث. سواء كان الأمر يتعلق بحكومة، أم بنظام، أم بحقوق وبامتيازات فإن صلاحياتها تشمل جميع مظاهر حياة الرهبان إلى درجة الإعفاء من القانون العام. وسلطتها القضائية، ذات الصفة الشخصية لا تعرف حدوداً إقليمية، تمارس على إنشاء وتحويل وإلغاء مؤسسات دينية. أي تنوّع المسائل الخاضعة لها. والدائرة مكلفة أيضاً برفع مستوى التجديد المقبول للحياة الرهبانية بما يتوافق مع مرسوم «المحبة الكاملة» بتاريخ 28 تشرين الأول/ أكتوبر 1965. وتسهل تجميع الدوائر الصغيرة وتسهر عن كثب، على مختلف مظاهر الحياة الدينية. ويعهد التدقيق في القضايا الأكثر أهمية إلى مكاتب متنوعة تساعده بعض اللجان مثل لجان تعديل الدساتير والزيارات القانونية والرهبانية والمساعدات والاستقالات وتنشئة الرهبان. يتردد طلاب كثيرون إلى المدرسة العملية للاهوت وقانون الرهبان، غير أن عدداً متزايداً من الراهبات ـ العدد الإجمالي للراهبات الناذرات كان 875332 راهبة 1994 ـ يستفدن من دروس معهد التنشئة، سلطانة العالم، الموزعة على فروع لغوية كثيرة. وتوزع أمانة سرّ المساعدات على الراهبات الحبيسات والراهبات المرضى الكثير من المساعدات. وفضلاً عن ذلك، لقد تأسس مجلس، في نطاق الاهتمام بالتعاون المنظم مع المسؤولين الأساسيين، من أجل

العلاقات بين الدائرة والإتحادات العالمية للرئيسات والرؤساء العامين.

واستناداً إلى دستور «الأمم الساهرة» بتاريخ 2 شباط/ فبراير 1947 وإلى الإرادة الرسولية «مع السعادة في البدء» المؤرخة في 12 آذار/ مارس 1948، فإن فرعاً خاصاً من الدائرة، مكلف بشؤون المؤسسات العلمانية، فهذه المؤسسات، استناداً إلى ما يذكره المجمع المسكوني، ليست مؤسسات دينية لكنها تستوجب إقراراً حقيقياً وكاملاً بالمشورات الإنجيلية في العالم تعترف به الكنيسة كما هو. وتبعاً لمنطوق المرسوم المجمعي «المحبة الكاملة» رقم 11 فعلى الدائرة أن تحرص على الإحتفاظ بهذه المؤسسات بطابعها العلماني الخاص بها والذي يميزها، لكي يتسنى لها أن تمارس رسالتها في العالم وكما من قلب العالم، رسالة خلقت من أجلها.

مكاتب الدائرة في ساحة پيوس الثاني عشر رقم 3. وهي تصدر دورية بعنوان «مفاهيم».

IX ـ دائرة التربية الكاثوليكية (إكليركيات ومؤسسات تعليم)

كان البابا سيكستس الخامس قد أسس 1588 دائرة للإشراف على دروس جامعة روما وجامعات أخرى مشهورة مثل جامعات بولونيا وباريس وسلمنكا، إلخ... وأنشأ البابا لاون الثاني عشر 1824 دائرة الدروس في مدارس الدولة البابوية، وراحت إبتداء من 1870 تمارس سلطتها على الجامعات الكاثوليكية، وقد أكّد رسالتها هذه البابا پيوس العاشر. وفي 1915 كوّن بنوا الخامس عشر دائرة قسم المدارس الإكليريكية الذي كان تابعاً لدائرة مجمع الكرادلة، وضمّه إلى السابقة وجعل منه دائرة الإكليريكيات وجامعات التدريس: وتمتد صلاحياتها من تنشئة المدعُوِّين إلى الرتب الدينية إلى رفع مستوى وتنظيم التربية الكاثوليكية. ويعود إليها تشييد الإكليريكيات المشتركة بين الأبرشيات التي توافق هي على أنظمتها

التي أعدها الأساقفة المسؤولون.

وقد تلقى العمل الحبري للدعوات الكهنوتية المرتبط بالدائرة دعماً جديداً من المرسوم المجمعي الذي عنوانه «ليعلم اليقين» (الخاص بتنشئة الكهنة) المؤرخ في 28 تشرين الأول/أكتوبر 1965. ويرئس الكردينال الرئيس لجنة الدوائر المشتركة الدائمة الخاصة بتنشئة طلاب الرتب الكهنوتية والتي تجمع مسؤولي دوائر الكنائس الشرقية وتبشير الشعوب ومؤسسات الحياة المكرسة والحياة الرسولية. وتؤسس الدائرة أو توافق على تأسيس الجامعات الكاثوليكية، كان عددها عام 1994 يصل إلى 1271 جامعة تضم 978 729 1 طالباً وعدد المعاهد الكاثوليكية 1913 يبلغ عدد طلابها 706 178 1 طالباً. وهي تصادق على أنظمة هذه المؤسسات وتشغل إدارتها العليا وتسهر على أن تظل وحدة الإيمان الكاثوليكي سليمة في التعاليم العقائدية.

وتشجِّع الدائرة على التعاون والمساعدة المتبادلة بين الجامعات الكاثوليكية وخاصة بواسطة جمعيات قومية ودولية.

تقع مكاتب الدائرة في ساحة بيوس الثاني عشر رقم 3. وتصدر مجلة فصلية بعنوان «المدرسة الإكليريكية».

X ـ وجه الإدارة الرومانية المجدَّد

وهكذا من العقيدة الإيمانية إلى تبشير الشعوب تأمّن توزيع وثيق للمهمات ووضع تنظيم متجانس قوامه وجود كردينال رئيس وحبرين وأمين سرّ ونائب أمين سرّ في كل دائرة. ويُبَثّ دم جديد عبر تبديل ممكن للمسؤولين الكبار كل خمس سنوات وعند وفاة البابا وعبر توظيف مساعدين يُختارون تبعاً لكفاءاتهم في العالم أجمع، ويُتفادى الهَرَم بتكوين مجالس مختلطة تلتقي بها الخبرات والكفاءات.

وأخيراً، لقد تمّ تجاوز التناقض القائم بين المركز والأطراف عبر

الوجود المتجدد للأساقفة المقيمين كأعضاء دوائر وخبراء من رجال الدين ورهبان وراهبات وعلمانيين كمستشارين.

إن الذين يتابعون عن كثب نشاط الكرسي الرسولي يتأثرون إيجاباً بالجهد الجبار الذي يبذل لتنفيذ المجمع وبالتحول المتطور للعقليات بذهنية خدماتية حقيقية.

يهتم «المكتب المركزي للعمل» (ULSA) الذي أوجده يوحنا بولس الثاني، بالمهام المنجزة في الإدارة الرومانية والمسائل التي ترد إليها، تبعاً للصلاحية المحددة «بالإرادة الرسولية» بتاريخ أول كانون الثاني 1989. ويذكّر بولس الثاني مساعديه في كل مناسبة قائلاً: يجب على الإدارة الرومانية أن تحقق دائماً غايتها من خدمة الكنيسة، هذه الغاية التي يحييها حب المسيح. أربعة اتجاهات كبرى تحدد هذه الذهنية: أمانة متشددة لتوجيهات المجمع الڤاتيكاني الثاني، استيحاء رعوي أعظم، وعي الأبعاد الثقافية لنشاطه، تعاون متزايد بين مصالح الكرسي الرسولي المختلفة ومع المؤتمرات الأسقفية وسينودس الأساقفة في وقت واحد.

الفصل السادس

المجالس البابوية

يعبّر البابا يوحنا بولس الثاني، في مقدمة دستوره الراعوي «الراعي الصالح» حول الإدارة الرومانية، عن نواياه بوضوح قائلاً: وفّقوا ما بين صورة الإدارة الرومانية ومتطلبات عصرنا، وتجديد القوانين التي أنجزتها مجموعات الحق القانوني الجديدة، اللاتيني والشرقي، كيّفوا الأجهزة القديمة مع قصديّاتها، أي إسهامها في مهمات الحكومة، القضائية والتنفيذية، وأخيراً أعيدوا الاعتبار إلى الصيغة القضائية وإلى نشاط الأجهزة المدعوة بحق «ما بعد المجمعية لجعل رسالتهم مفيدة وخصبة ولتشجيع النشاطات الرعوية الخاصة في الكنيسة وكذلك لدرس المسائل التي تفرض نفسها على الرعاة وتستدعي قرارات مناسبة وأكيدة».

تلك هي المجالس البابوية.

I ـ المجلس البابوي للعلمانيين

إذا كان العلمانيون يتمتعون بحقوقهم الكاملة في الكنيسة فإن موقفهم الحالي هو ثمرة تطور بطيء. فمنذ «أعمال الرسل» نرى العلمانيين يلعبون دوراً عظيماً في التبشير بالإنجيل وفي دستور الجماعات المسيحية الأولى. ولكن جاء عصر هو عصر المسيحية إذ بدت الكنيسة راسخة الجذور في العالم المعروف برمته وكان الإكليروس يشغل فيه مركزاً متفوقاً وكان يحكم العلمانيين من ذروة سلطته. وكان حتمياً الشعور بترك النصرانية وحدس

كاردجن (Cardijin)[1] وصلابة پيوس الحادي العشر لكي يستعيد العلمانيون مركزهم الذي هو بكل بساطة دورهم، استناداً إلى التأكيد الهادىء لپيوس الثاني عشر: «إن العلمانيين أيضاً هم الكنيسة».

إن يوحنا الثالث والعشرين بتأسيسه اللجان المجمعية التي هي نسخة عن تنظيم الإدارة الرومانية، أوجد لجنة عاشرة ليس فيها عضو كهنوتي مقابل. هي لجنة رسالة العلمانيين والصحافة والتمثيل. وخصص لها المجمع الفصل الرابع من دستور «نور الأمم» عن الكنيسة ومرسوماً بكامله عنوانه «النشاط الرسولي».

وصاغ حوله قراراً هاماً:

«يجب أن تنشأ بإزاء الكرسي الرسولي أمانة سرّ خاصة لخدمة رسالة العلمانيين ورفع مستواها. وستكون هذه الأمانة مركزاً مجهَّزاً بوسائل صالحة لتقديم معلومات في موضوع مبادرات العلمانيين الرسولية المختلفة. وستنكب على أبحاث في المسائل التي تنجم اليوم في هذا المجال وستساعد بمشوراتها السلطة الكنسية والعلمانيين على صعيد النشاطات الرسولية. ويتحتم على الحركات والتنظيمات الرسولية العلمانية المختلفة في العالم أجمع أن تكون معنيّة بأمانة السرّ هذه التي ستضم رجال دين ورهباناً للمساهمة مع العلمانيين».

إن المجلس البابوي الذي تأسّس بموجب دستور العلمانيين تكونت هيكليته استناداً إلى الإرادة البابوية بعنوان «الرسالة التي يجب القيام بها» المؤرخة في 10 كانون الأول/ديسمبر 1976. وأوجد البابا يوحنا بولس الثاني أول المجالس البابوية. وإذا كان الأحبار هم من يقومون بترؤسه فإن أعضاءه جميعاً تقريباً من العلمانيين، رجالاً ونساء جاؤوا من كل القارات

---

(1) كردينال بلجيكي (1882 - 1967) خادم رعية شعبية وضع أسس منظمة «الشباب المسيحي الأوّل».

وانطلقوا من صيغ تبشيرية مختلفة. إن صلاحيته هي تشجيع وتنسيق إسهام العلمانيين في الحياة وفي رسالة الكنيسة سواء كأعضاء جمعيات نذرت نفسها للرسالة أو كمؤمنين، وهو يساعدهم على القيام بواجبهم الخاص وهو إشباع روح الإنجيل بالحقائق الزمنية. ويسهل تعاونهم في التنشئة على التعاليم الدينية والحياة الطقسية والسِّرِّية وعلى أعمال الرحمة والمحبة والترقي الاجتماعي. إنه يتابع ويوجه اللقاءات العالمية وخاصة بمناسبة يوم الشباب العالمي الذي اقترحه البابا يوحنا بولس الثاني 1986، ويؤسس جمعيات المؤمنين العلمانية ذات الطابع الدولي ويهتم بالنشاط الرسولي للجمعيات العلمانية.

يصدر نشرة أخبار ويحرر مجلّة بخمس لغات عنوانها: علمانيو اليوم. يقع مركز المجلس في قصر القديس كاليكستس ساحة القديس كاليكستس رقم 16.

II ـ المجلس الحبري للحثّ على وحدة المسيحيين

أسّس البابا يوحنا الثالث والعشرون في 5 حزيران/ يونيو 1960 المجلس الحبري كأمانة سرّ ووضعه تحت سلطة الكردينال بِيَا (Béa) ثم وضعه البابا بولس السادس على قدم المساواة مع أجهزة الإدارة الرومانية بمنطوق الإرادة الرسولية (اختتام المجمع) بتاريخ 3 كانون الثاني/ يناير 1960 وذلك من أجل زيادة وتيرة العمل على وحدة المسيحيين وهو يدأب، عن طريق مبادرات ونشاطات مؤاتية، على هذه المهمة المسكونية لإقامة الوحدة بين المسحيين استناداً إلى مراسيم المجمع الڤاتيكاني الثاني.

ويمارس نشاطه، تحت إشراف رئيس وأمين سرّ ونائب أمين سرّ، على صعيدين، شرقي وغربي، بتعاون وثيق مع دائرة العقيدة الإيمانية وخاصة عندما تدعو الحاجة إلى إصدار وثائق وبيانات عامة، ومع دائرة الكنائس الشرقية ومن أجل القضايا الأكثر أهمية التي تعني كنائس الشرق المنفصلة.

عمل المجلس مزدوج: تنشيط الحوار مع سائر المسيحيين وتنسيق الروح والعمل المسكونيين في قلب الكنيسة الكاثوليكية. ومن هذا المنظور جدد الإتصالات مع مجموعة الكنائس الأخرى الشرقية والغربية، وأقام، بواسطة لجان مختلطة، الحوار اللاهوتي مع الكنيسة الأرثوذكسية والجماعة الأنغليكانية والإتحاد اللوثري العالمي والمجلس الميتودي[1] العالمي وتشكل منذ 1968 فريق عمل بالإشتراك مع المجلس المسكوني للكنائس وانضم إليه منذ 1968 إثنا عشر لاهوتياً كاثوليكياً هم أعضاء في لجنة «إيمان ودستور». وفي 23 آذار/مارس 1993 وافق البابا على مجلس إدارة لتطبيق المبادىء والقوانين الخاصة بالمسكونية.

وفي 22 تشرين الأول/أكتوبر 1974 أسّس البابا بولس السادس لجنة للاتصالات الدينية مع الديانة اليهودية. وهذا الجهاز المتميز المتصل بالمجلس، يشرف عليه الرئيس نفسه.

مكاتبه في جادة دِلْ إِرْبَا رقم 1. نشرته تصدر بالفرنسية والإنكليزية تحت عنوان: «خدمة المعلومات».

III ـ مجلس حَبري للعائلة

هذا المجلس الذي أسّسه البابا يوحنا بولس الثاني بموجب الإرادة الرسولية «العائلة التي أسّسها الله» بتاريخ 9 أيار/مايو 1981 يعمل على رفع مستوى حياة العائلات الدينية وتسهيل اعترافها بواجباتها وكرامتها في الكنيسة والمجتمع المدني ويدعم وينسق المبادرات الآيلة إلى المحافظة على الحياة الإنسانية منذ الحَبل لمصلحة الإنجاب المسؤول.

ويهتم هذا المجلس الذي يضم علمانيين، نساءً ورجالاً. وعلى الأخص متزوجين، آتين من مختلف أصقاع الأرض، يهتم بترسيخ معتقد

(1) الميتودية حركة دينية إصلاحية لإحياء كنيسة إنكلترا. . .

الكنيسة بشأن العائلة ويسعى إلى تلقينه بواسطة تعليم مسيحي مناسب. ويشجع بوجه خاص الدروس عن روحانية الزواج والعائلة. ويطلق، بالتعاون مع الأساقفة ومؤتمراتهم الحبرية، مبادرات تساعد حياة العائلة الدينية.

والبابا يوحنا بولس الثاني، بإعطائه هذا الموضوع هدفاً لأعمال مجمع (سينودس) الأساقفة في خريف 1980، أراد أن يلفت الإنتباه إلى أهميته ويمهد الطريق إلى مبادرات جديدة عاملاً بطريقة أفضل على التعريف بما يوجد فعلاً في مختلف الكنائس المحلية. إن الدعوة الرسولية بعنوان «مشاركة العائلة» بتاريخ 21 تشرين الثاني/نوڤمبر 1981 أعطت ثمارها في تشجيع الحياة العائلية الدينية. وعرض الكرسي الرسولي شرعة حقوق العائلة على كل الأشخاص والمؤسسات والسلطات المعنية برسائل العائلة في عالم اليوم. مركز المجلس في قصر القديس كالِكْسْتُسْ.

IV ـ المجلس الحبري «للعدالة والسلام»

حقق البابا بولس السادس تمنياً آخر للمجمع عبَّر عنه الدستور الرعوي حول الكنيسة في عالم هذا الزمان بقوله: «نظراً إلى الشقاء الهائل الذي يرهق، اليوم، القسم الأعظم من الجنس البشري، من أجل إنعاش العدالة في كل مكان وفي الوقت نفسه من أجل إلهاب محبة المسيح تجاه الفقراء ارتأى المجمع أنه من المرغوب فيه إيجاد جهاز في الكنيسة الجامعة مكلف بحث المجتمع المسيحي على تنشيط ازدهار المناطق الفقيرة والعدالة الاجتماعية بين الأمم (فرح ورجاء، رقم 90).

وبمناسبة عيد الفصح، في 26 آذار/مارس 1967 أذاع البابا رسالة، عمّمت فيما بعد، حول تطور الشعوب وصرخات العذاب وفداء الرجاء من أجل نمو متكامل للإنسان ونمو البشرية المتضامن (ترقي الشعوب) وكانت كميثاق العدالة والسلام عرفت لتوّها دوياً عظيماً استفادت منه أعمال

الجهاز الجديد الذي خاطبه البابا بولس السادس لدى استقباله إياه في 20 نيسان/ إبريل 1967 قائلاً: «إنكم تمثلون في نظرنا تحقيق آخر أمنية من أمنيات المجمع. كانت الكنيسة وبرج الجرس ولا يزالان عندما يُشيَّدان يوضع على قمة سقفهما شكل ديك كرمز للإيمان ومنهج للحياة المسيحية بكامله؛ وكذلك على البناء الروحي للمجمع وضعت هذه اللجنة التي لم يكن لها من وظيفة إلاّ أن تجعل عين الكنيسة يقظة وقلبها حساساً ويدها سريعة إلى عمل المحبة المدعوة إلى إعطائها للعالم بطريقة تسرِّع خطى تقدم الشعوب الأكثر فقراً وتنمي العدالة الاجتماعية بين الأمم».

يوظِّف المجلس الحبري «للعدالة والسلام» لتنشيط العدالة والسلام في العالم استناداً إلى الإنجيل وإلى تعليم الكنيسة الاجتماعي وخاصة بمناسبة اليوم العالمي للسلام الذي احتُفِل به لأول مرة في أول كانون الثاني/ يناير 1968. مقرّه في قصر القديس كاليكستس عبر نهر التيبر.

V ـ المجلس الحبري «قلب واحد»

في تموز 1971 أنشأ البابا بولس السادس مجلساً جديداً للمساعدة والتطوير. اسمه «قلب واحد» هو برنامج بكامله ومهمته العظيمة هي:

«أن ينسق القوى والمبادرات في كل الأجهزة الكاثوليكية، وصولاً من ثم إلى كل شعب الله. وأن يكون في تصرف الأساقفة لوضعهم على صلة مع الأجهزة الكاثوليكية التي تقوم بالمساعدات، وأن يوفِّر توزيعاً أفضل لمداخيل العمل ووسائله، وأن يساهم مع الأخوة المنشقين لكي يتلقى الشعب مساعدة المبادرات المشتركة: وأن يسهّل العلاقات بين الأجهزة الكاثوليكية والتنظيمات ذات الصفة العامة أو الدولية التي تعمل في مجال المساعدة والتطوير ذاته: وأن يعمل في زمن النكبات بطريقة يضمن معها وفاق جميع أعضاء المجلس الحد الأقصى من الفعالية والسرعة، مع بقاء الشخصية الخاصة والمسؤوليات التنفيذية لكل تنظيم في وضع سليم».

لا يطمح الجهاز الروماني الجديد إلى الحلول محل الأعضاء الموجودين ولكن إلى تنسيق المبادرات التي تبرز في الكنيسة الكاثوليكية. لأن موهبة كنيسة روما هي خدمة محبة كونية. وعلاوة على ذلك فإن بنيتها الأصلية تكشف عن ذلك لأن من أعضائها أشخاص وأساقفة ورهبان أو علمانيون وكذلك منظمات قومية ودولية للمساعدة والتعاون والتطوير، بالتعاون مع المؤتمرات الأسقفية وضمن احترام مبادراتها وتوجيهاتها الخاصة. يودّ مجلس «قلب واحد» أن يجيّش الكنيسة بكاملها لخدمة حقيقية للمحبة. وعندما استقبل البابا يوحنا بولس الثاني المجلس بكامل أعضائه في بداية حبريته في تشرين الثاني/ نوڤمبر 1978 ذكّره بأن التبشير هو منتهى السمو بالإنسان: «إن ما يجب أن يحرك أعمالنا الآيلة إلى التسامي بالإنسان إنما هي المحبة بحسب المسيح».

إن مقرّ مجلس «قلب واحد» هو في ساحة القديس كاليكستس.

VI ـ مجلس بابوي لرعاية المهاجرين والمهجرين

يوجّه المجلس اهتمام الكنيسة الراعوي نحو أولئك لذين أُجبروا على ترك أوطانهم أو الذين لا أوطان لهم، إلى اللاجئين والمنفيين، إلى المهاجرين وإلى المشردين وإلى عمّال السيرك وإلى البحارة في إبحارهم وفي المرافىء، خاصة من خلال عمل رسالة البحار، وإلى الذين يعملون في الطائرات والمطارات. ويسهر على أن تقدم في الكنائس الخاصة مساعدة روحية فعّالة ومناسبة، وبواسطة البنى الرعوية الملائمة عند الإقتضاء. إن اليوم العالمي للمهاجرين واللاجئين هو مناسبة يقظة ضمير بهذا الخصوص.

مقر المجلس في ساحة القديس كاليكستس وهو يصدر نشرة «الشعب المتنقل» و «دفاتر جامعية».

VII ـ مجلس حبري لراعوية الخدمات الصحية

أسّس المجلس البابا يوحنا بولس الثاني 1983 وهو يبدي اهتمام الكنيسة بالمرضى ويساعد الذين يخدمونهم عبر رسالة الرحمة. ويوفر مؤازرته للكنائس المحلية من أجل الخدمة الراعوية الصحية ويدعم نشاط المنظمة الدولية الكاثوليكية ويتابع بانتباه المستجدات التشريعية والعلمية في هذا المجال لتؤخذ بعين الإعتبار في نشاط راعوية الكنيسة. ويعود إليه التعريف بتعاليم الكنيسة عن مظاهر المرض الروحية والأخلاقية، وعن معنى الألم البشري. مقرّه في ساحة القديس كاليكستس وهو يصدر مجلة «آلام البشر» بنصوص إيطالية وإسبانية وفرنسية وإنكليزية وألمانية.

VIII ـ المجلس الحبري لشرح النصوص التشريعية

يقوم دور هذا المجلس خصوصاً على الشرح الحقيقي لقوانين الكنيسة العالمية لا سيما مجموعات الحق القانوني للكنيسة اللاتينية المنشورة في 25 كانون الثاني/ يناير 1983 والكنائس الشرقية الصادرة في 18 تشرين الأول/ أكتوبر 1990. ويسهر على أن تكون مراسيم الدوائر مطابقة لقواعد الحقوق المرعية الإجراء وتكون محررة بالصيغة القانونية المطلوبة. وهو إلى ذلك يتأكد من مطابقة القوانين الخاصة للقوانين العالمية للكنيسة. مركز هذا المجلس في قصر الدوائر الڤاتيكانية، ساحة پيوس الثاني عشر رقم 10. يصدرنشرة دورية بعنوان «اتصالات إعلامية».

IX ـ مجلس حبري للحوار بين الأديان

أنشأ هذا المجلس البابا بولس السادس في 19 أيار/ مايو 1964 بمناسبة عيد العنصرة[1] ومن مهامه تسهيل الإتصالات بالأشخاص والفئات

(1) هو ذكرى حلول الروح القدس على تلاميذ السيد المسيح ويأتي بعد خمسين يوماً من =

غير المسيحية، وبالذين عندهم شعور ديني، ويسعى إلى أن يجري الحوار بطريقة لائقة بمعرفة واحترام متبادل لكي يرفع عبر عمل مشترك من مستوى كرامة الإنسان وقيمه الروحية والأخلاقية. إن ميثاقه هو الإعلان المجمعي بعنوان «عصرنا» المؤرخ في 28 تشرين الأول/أكتوبر 1963 حول الكنيسة والأديان غير المسيحية.

وفي 22 تشرين الأول/أكتوبر 1974 تشكلت لجنة خاصة مهمتها تنشيط العلاقات مع المسلمين من وجهة النظر الدينية.

توجد مكاتب المجلس في جادة دِلْ إزبا رقم 1 وتنشر مجلته مقالات بالفرنسية والإنكليزية. وتحددت توجيهاته في مقالات: نحو لقاء الأديان، اقتراحات من أجل الحوار 1967، موقف الكنيسة الكاثوليكية من مؤمني الأديان الأخرى، حوار ورسالة 1984. حوار وأخبار، خواطر وتوجيهات من أجل الحوار بين الأديان وبشارة الإنجيل 1991 ونشر أدلة للحوار مع البوذية والهندوسية والديانات التقليدية الإفريقية ومع المسلمين. ونشر، بالتعاون مع مجالس وحدة المسيحيين والثقافة، خواطر حول ظاهرة المذاهب أو الحركات الدينية الجديدة كتحدٍّ راعوي لكل الكنيسة.

X ـ مجلس حبري للثقافة

أسّس البابا يوحنا بولس الثاني المجلس الحبري الثقافي الجديد بإرادة رسولية عنوانها «الصادرة عن حبريتنا» بتاريخ 25 آذار/مارس 1993 ليتابع من خلال فرعيه: «إيمان وثقافة» و «حوار مع الثقافات» النشاط الذي وجّهه حتى الآن الجهازان السابقان المعنيّان بالحوار مع غير المسلمين ومع الثقافات.

إن مهمته مزدوجة: تنشيط اللقاء بين رسالة الخلاص الإنجيلي وثقافات زماننا الموسومة بعدم إيمانها وإهمالها الديني لكي تنفتح دائماً

= عيد الفصح أي قيامة السيد المسيح من الموت ـ م ـ.

أكثر على الإيمان المسيحي، مبدع الثقافة ومنبع الوحي للآداب والعلوم والفنون؛ وإقامة حوار مع الذين لا يؤمنون بالله ولا يعتنقون أيّة ديانة، في كل مرة يكون هؤلاء مستعدين للتعاون المخلص. وفوق ذلك فالمجلس يتابع وينسق نشاط الأكاديميات الحبرية.

وتتعاون اللجنة الحبرية الجديدة الخاصة بتراث الكنيسة الثقافي، مع مجلس الإتصالات الدورية لتأمين تناغم القصديّة وتعاون متبادل مثمر. تقع مكاتب القسم الثقافي الذي يرئسه كردينال يعاونه أمين سرّ وعند الضرورة معاونان لأمين السرّ، معاون لكل فرع، في ساحة القديس كاليكستس. وتنشر مجلته الشهرية «ثقافات وإيمان» مقالات بالإنكليزية والإسبانية والفرنسية بهدف تقديم مساعدة تنطبق على عمل الكنيسة الرعوي لتبشير الثقافات والحوار بين الثقافات ونشر ثقافة الإنجيل.

ينشر المجلس غير ذلك الكثير من المؤلفات بالفرنسية وبلغات أخرى تنم عن نشاطه في مجال الحوار والخواطر التي تتميز بالعديد من الحوارات مثل محاورات لجْوبْلْجانا (Ljubljana) وبودابست وكليجنتال وموسكو ومونيخ وميلانو وپراغ وأمستردام ومدريد وأونيتشا وكوستاريكا وسانتياغو ونيويورك وهونغ كونغ وطوكيو وبنغالور ومانيلا وشانتيي إلخ. من هذه المؤلفات: الكنيسة أمام تحدي الإلحاد المعاصر؛ علم وإيمان؛ اللامبالاة الدينية، غاليليو غاليلايي، 350 سنة من التاريخ، 1933 - 1983؛ الأخلاق المسيحية غداً؛ الإيمان والإلحاد في العالم؛ المسيحية والثقافة في أوروپا؛ ذاكرة، ضمير، تطلع؛ أوروپا جديدة، استعادة الحرية وتحدّي التحررية (الليبرالية) المسيحية والهوية الثقافية للشعوب الأوروپية؛ بعد غاليليه، علم وإيمان: حوار جديد.

XI ـ المجلس الحبري للإتصالات الاجتماعية

في سنة 1948 أسّس البابا پيوس الثاني عشر لجنة حبرية للسينما ووسّع صلاحياتها 1954 لتشمل مجالات الإذاعة والتلفزيون. وفي 22

شباط/ فبراير 1959 حولها البابا يوحنا الثالث والعشرون بإرادة بابوية عنوانها «الرعاة الصالحون» إلى مكتب دائم للكرسي الرسولي.

واهتم المجمع الڤاتيكاني الثاني منذ جلسته الأولى بوسائل الإتصالات الاجتماعية وعمّم في 4 كانون الأول/ ديسمبر 1963 المرسوم الخاص بها وعنوانه «من بين الإكتشافات الفنية الرائعة». يطلب هذا النص المجمعي إلى البابا أن يبسط صلاحية اللجنة على جميع وسائل الاتصالات الاجتماعية ومن ضمنها الصحافة وأن يضم إليها خبراء من بينهم علمانيون يختارهم من مختلف الأمم. فتحقق ذلك بإرادة رسولية عنوانها «بثمار كثيرة» مؤرخة في 2 نيسان/ إبريل 1964. وفي 13 آب/ أغسطس التالي عهد البابا إلى اللجنة بالنقل السمعي ـ البصري لكل الاحتفالات الحبرية ولكل التقارير المذاعة بالراديو والتلفزيون معاً في الڤاتيكان. وأذاع في 23 أيار/ مايو 1971 التعميم الحبري بعنوان «شراكة وتقدم» عدّل بعد عشرين سنة بنص جديد عنوانه «على مقربة من عصر جديد» يشير إلى دور وسائل الإتصالات الاجتماعية في تكوين الرأي العام والتربية والثقافة والتسلية ويستنتج مبادىء الواجبات الأدبية ليضعها موضع التنفيذ ويذكّر المسيحيين بتحمل مسؤولياتهم تجاهها.

يوجه المجلس ويدير مكتبة الأفلام الڤاتيكانية، وكان قد أنشأها البابا يوحنا الثالث والعشرون في 16 تشرين الثاني/ نوڤمبر 1959 لجمع وحفظ الأفلام والتسجيلات التي تعنى بحياة الكنيسة. وهي تتمتع بشخصية قضائية. مكتبها في حاضرة الڤاتيكان مثل اللجنة، في قصر القديس شارل.

يصدر المجلس نشرة سنوية.

XII ـ لجان وهيئات

ألّف البابا يوحنا بولس الثاني اللجنة الحبرية لإعادة النظر وتصحيح النص التوراتي لنشرة الڤولغات (الترجمة اللاتينية للكتاب المقدس) في 15

كانون الثاني/يناير 1984، موقعها على جادة دي تورِّيْهْ روسّا رقم 21. وتلقت الهيئة الخيرية للمؤتمرات الإفخارستية الدولية التي عُقد مؤتمرها الأول في لِيْلْ 1881، تشريعاتها الحالية من يوحنا بولس الثاني 1986. والذين أوحوا بها هم القديس بطرس، جوليان إيمار والطوباوي أنطوان شوڤريه وإميل ماري تاميزْيِيْه، غايتها جعل الناس يعرفون ويخدمون سيدنا يسوع المسيح بشكل أفضل في سرّه الإفخارستي مركز حياة الكنيسة ورسالتها لخلاص العالم. والهيئة التي تنظم دورياً المؤتمرات الإفخارستية الدولية حسب التسمية التي أعطاها إياها الكردينال مرميلود تتخذ مركزاً لها في قصر القديس كاليكستس. واللجنة الحبرية للآثار المقدسة ألّفها البابا پيوس التاسع في 6 كانون الثاني/ يناير 1852.

ووسّعت المادة 33 من معاهدات لاتران سلطتها، ودائرة نشاطها ودرسها لتشمل جميع الدياميس الموجودة على الأرض الإيطالية، مهمتها المحافظة على أشهر أنصاب وآثار الفن المقدس والاحتفاظ بها ودراستها والتنقيب عنها، وخاصة تلك التي تعود إلى العصور المسيحية الأولى. إنها تعمل بالتعاون مع الأكاديمية الرومانية لعلم الآثار والمعهد الحبري للآثار المسيحية والجمعية الخاصة بمؤتمرات الآثار المسيحية ودائرة تكريم الشهداء. مركزها: جادة ناپوليون الثالث رقم 1.

الهيئة الحبرية للعلوم التاريخية أنشأها البابا پيوس الثاني عشرَ في 7 نيسان/ إبريل 1954. إنها تمثل الكرسي الرسولي كعضو في الهيئة الدولية للعلوم التاريخية. وتشكل لجنة فرعية للكرسي الرسولي داخل اللجنة العالمية للتاريخ الكنسي المقارن. مقرّها: ساحة پيوس الثاني عشر رقم 3.

تأسّست اللجنة الحبرية لشعب الله في 2 تموز/ يوليو 1988 لتسهل المشاركة الكنسية التامة للكهنة والإكليريكيين والجماعات والرهبان والراهبات المرتبطين إلى حينه بجماعة «الأخوّة» التي أسّسها المونسنيور مارسيل لوفيڤر والذين يرغبون في أن يظلّوا متحدين بخليفة بطرس في

الكنيسة الكاثوليكية. مركزها في قصر العقيدة الإيمانية، ساحة السان ـ أوفيس، رقم 11.

واللجنة الكردينالية لمعابد پوپاي ولورسيت ألَّفها البابا لاون الثالث عشر رأت مهمتها تتسع لتشمل كاتدرائية القديس نقولا في باري، تسهر على النشاطات الروحية وعلى الإدارة الزمنية للمعابد بالإتفاق مع دائرة الإكليروس حيث مقرّها الرسمي في ساحة پيوس الثاني عشر رقم 3.

وتأسَّست اللجنة التنظيمية للإدارة الرومانية بمقتضى نظامها العام ونظام تقاعد موظفيها.

الفصل السابع

محاكم، مصالح إدارية، أجهزة أخرى في الإدارة الرومانية، مؤسسات ملحقة بالكرسي الرسولي

I ـ المحاكم

1 ـ ديوان التوبة الرسولي. ـ تأسّس ديوان التوبة الرسولي في القرن الثالث عشر وكثيراً ما تعرض لإصلاحات وخاصة من قبل البابا بِنْوَا الرابع عشر سنة 1744. وحدّد الباب پيوس العاشر صلاحياته نهائياً بقضايا الضمير التي تعتبر في قرارة الذات غير سرِّية أي خارجة عن نطاق سر التوبة. وفي سنة 1917 ضمّ إليه البابا بنوا الخامس عشر قسم الغفرانات الذي فصله عن الدائرة التي كانت تسمي سان ـ أوفّيس أي ديوان التفتيش. وفي 25 آذار/مارس سنة 1935 سنّ البابا پيوس الحادي عشر قوانين لجميع الدوائر بمرسوم «الشؤون الإلهية». ويساعد الكردينالَ الأعلى المانح الغفرانات وصيٌّ ومجلس أحبار أو مجلس أعلى لمنح الغفرانات ويحتفظ بسلطته أثناء شغور الكرسي الرسولي بطريقة يؤمِّن فيها دائماً سلام الضمائر.

تقع مكاتبه في قصر ديوان الأختام الرسولي، ساحة قصر الأختام، رقم 1.

2 ـ المحكمة العليا للتوقيع الرسولي. ـ يرقى منشأ هذه المحكمة إلى القرن الثالث عشر مع مؤسسة المقررين لتحضير توقيع العرائض ولجان

قضايا العدل أو النعمة. وقد أنشأها البابا أوجين الرابع (1431 - 1447) مصلحة مستقلة تحولت تدريجاً إلى محكمة تمييز صالحة أيضاً للقضايا المدنية في الدولة البابوية. وجعل منها البابا پيوس العاشر المحكمة العليا. وهي تضم قسمين يجعلان منها مساوية لمحكمة التمييز، ومجلس شورى الدولة. تتدخل الأولى بسلطة عادية أو منتدبة استناداً إلى أنظمة الحق القانوني: تتسع سلطتها لتشمل صلاحية المحاكم والإدارة المستقيمة للعدالة في الكنيسة جمعاء وبعض بنود المعاهدات بين الكرسي الرسولي ومختلف الأمم. ويحكم الثاني في المنازعات الإدارية الكنسية وفي الطعون ضد قرارات الدوائر الرومانية والخلافات حول الصلاحيات بين هذه الدوائر، وفي كل قضية يحوّلها إليه الحبر الأعظم. مقرها في قصر ديوان الأختام الرسولية، ساحة قصر الأختام رقم 1.

3 ـ **محكمة الروتا الرومانية.** ـ لا شكّ في أنها أخذت اسمها من السور الدائري حيث كان مندوبو الدولة يجتمعون للحكم على القضايا. عيَّن صلاحيتها البابا بنوا الرابع عشر سنة 1747 وحددها البابا غريغوريوس السادس عشر سنة 1834 وشرّعها البابا پيوس العاشر سنة 1908. تقوم المحكمة بوظيفتها عادة كمحكمة استئناف عليا لدى الكرسي الرسولي. وهي إلى ذلك تقاضي، كمحكمة ابتدائية، الأساقفة في القضايا المتنازَع عليها، والقسس ورؤساء الجمعيات الرهبانية وتحكم في القضايا التي يعهد بها إليها الحبر الروماني.

ويشكل مندوبو محكمة الروتا الذين يعينهم الأب الأقدس مجمعاً. يترأس المحكمة كبير السن يسميه الحبر الأعظم إذ يختاره من بينهم لمدة محددة. يتولى الحكم في الروتا كل مرة ثلاثة قضاة مداورة. إنها أساساً محكمة تُستَأنف إليها القضايا التي نظرت فيها المحاكم الكنسية وخاصة دعاوى إقرار بطلان الزواج أي أن الزواج لم يشتمل على الشروط الضرورة لصحته وهو بالتالي إجراء باطل. ويعمل بإشراف أقدم القضاة خدمة.

مكتب لتدريب المحامين والقضاة والمدافعين عن وثائق الزواج. مدة التعليم ثلاث سنوات للحصول على لقب محامٍ في محكمة الروتا. وتعين أتعاب المحاماة بشكل حاسم بقرار من المحكمة العليا للتوقيع البابوي من أجل تفادي التجاوزات المفترضة أو الواقعية في هذا المجال. هذه التجاوزات التي كثيراً ما تثير تعليقات تمس سمعة الكنيسة، وفوق ذلك فإن البابا بولس السادس اختصر القواعد التي تعني قضايا الزواج، وقد أصبحت بفضل هذا التدبير أقصر وأقل كلفة (الإرادة الرسولية «القضايا الزوجية» بتاريخ 26 آذار/ مارس سنة 1971).

مكاتب هذه المحكمة في قصر ديوان الأختام، ساحة قصر الأختام رقم 1. وتصدر نشرة دورية بعنوان: قرارات مختارة.

II ـ المصالح الإدارية

1 ـ الغرفة الرسولية. ـ كُلِّفَتْ منذ القرن الحادي عشر بالإدارة المالية وأصبحت في القرن التاسع عشر محكمة للدولة البابوية وهي تهتم منذ حبرية پيوس العاشر بأملاك الكرسي الرسولي وحقوقه عند خلو العرش. يرئسها الكردينال نائب البابا يعاونه مساعد له. يدير نائب البابا الأملاك ويسهر على الحقوق الزمنية للكرسي الرسولي أثناء خلوه من الحبر الأعظم. من أول واجباتها دعوة الكرادلة إلى الإجتماع عشية وفاة البابا. ويتوزع ثلاثة كرادلة مسؤوليات نائب البابا وهم الكرادلة رؤساء الفئات الإكليريكية الثلاث. أول الكرادلة ـ الأساقفة وهو رئيس السن لمجمع الكرادلة، وأول الكرادلة ـ الكهنة، وأول الكرادلة ـ الشمامسة. لأنه، عند موت البابا يفقد الكرادلة رؤساء الأجهزة وأمين سر الدولة جميعاً صلاحياتهم باستثناء الرئيس الأكبر لديوان مجمع التوبة.

وعندما يخلو مركز نائب البابا، كما حدث على أثر موت البابا پيوس الثاني عشر، فإن الكرادلة الموجودين في روما هم الذين ينتخبون البابا.

مكاتبها في مدينة الڤاتيكان في قصر القديس كارلو ساحة القديسة ماريًا.

2 ـ إدارة أملاك الكرسي الرسولي. ـ أنشأ هذه الإدارة البابا لاون الثالث عشر سنة 1878 تحت عنوان إدارة أملاك الكرسي الرسولي وهي تدبر شؤون الأملاك التي هي ملك الكرسي الرسولي المعدة لتقديم الأموال الضرورية لتغطية أعمال الإدارة الرومانية. يشرف عليها كردينال يعاونه مجلس كرادلة ويساعده أمين سر. تقسم الإدارة إلى قسمين عادي وغير عادي يشرف مندوب على كل قسم. يدير الأول الأملاكَ الموكلة إليه ويؤمن إدارة الموظفين ويشرف على تنظيم الإدارة وينجز المحاسبة وينظم الميزانية الموحدة (المجمعية) والميزانية التقديرية. والثاني يدير الأموال المنقولة الخاصة.

مكاتبها في القصر الرسولي.

3 ـ مديرية الشؤون الاقتصادية التابعة للكرسي الرسولي. ـ أنشأ هذا الجهاز البابا بولس السادس وتديره لجنة من الكرادلة يقوم أحدهم بوظيفة الرئيس يعاونه أمين سر ومحاسب عام وبمؤازرة مستشارين من الإكليروس والعلمانيين. تراقب هذه المديرية الإدارات التابعة للكرسي الرسولي أو الملحقة به مهما كانت استقلاليتها الذاتية. تنظم الميزانية المُجمَّعة والتقديرية الخاصة بالكرسي الرسولي وتخضعها لموافقة الحَبر الأعظم. تدقق دفائر الحساب وتقدم، عند الإقتضاء، دعاوى جزائية أو مدنية لدى المحاكم المختصة.

مكاتبها في قصر الدوائر البابوية، لارغو دل كولونّاتو، 3.

III ـ أجهزة أخرى تابعة للإدارة الرومانية

1 ـ مديرية البيت الحبري. ـ يشرف على هذه المديرية حبر يُعيَّن لمدة خمس سنوات ويثبّته البابا الجديد في وظيفته ويعاونه وصيّ. هي وريثة

المهام الآيلة إلى كبير الخدم وإلى رئيس غرفة قداسته وإلى دائرة الإحتفالات الرسمية. إن الصلاحيات المعطاة لمديرها تجعل منه سيد البيت، في قصر الڤاتيكان كما في كل مكان ينزله البابا وحيث يرافقه ويعاونه. وهو مسؤول عن تحضير وتنظيم المقابلات الرسمية التي يجريها البابا مع رؤساء الدول والحكومات وغيرهم من الشخصيات وخاصة السفراء والوزراء المطلقي الصلاحية الذين يقدمون له أوراق اعتمادهم. وكانت آخر الزيارات المميزة والتاريخية هي زيارة إمبراطور اليابان أكيهيتو وزوجته ميشيكو. إذ انحنى امبراطور الشمس الشارقة أمام خليفة صياد الجليل وقدم له هدية حمامة السلام وهي من البرونز الأصيل للنحات المشهور نواكي توميناغا.

وتحضر مديرية البيت الحبري كل ما يمت بصلة إلى المقابلات الخاصة وغير العادية والعامة وزيارات الأشخاص الذين يستقبلهم الأب الأقدس: وهي تنظم أيضاً الاحتفالات الحبرية خارج القسم الليتورجي الدقيق، والتمارين الروحية للأب الأقدس ولمجمع الكرادلة ولحاشية البابا التي تجري كل سنة داخل كنيسة «ماتر إكليزيا» (أي الأم الكنيسة) في القصر الحبري في الأسبوع الأول من الصوم.

والمديرية هي التي تتخذ الإجراءات الضرورية لتنقُّل البابا في مدينة روما وفي إيطاليا، وهي التي تنظم حق التصدُّر في كنيسة العائلة الحبرية ومجمع الكرادلة والحاشية والمبعوثين الدبلوماسيين الذين يعينهم الكرسي الرسولي.

وأخيراً تضع المديرية، بالإتفاق مع أمانة سر الدولة ومكتب المراسم الطقسية، التنظيمات الضرورية لكل الإحتفالات الحبرية الدينية والمدنية وكذلك اللباس المطلوب لحاشية البيت الحبري من إكليريكيين وعلمانيين في الإحتفالات البابوية التي يشاركون فيها.

مكاتبها في القصر البابوي.

2 ـ مكتب الحبر الأعظم للمراسم الطقسية (الليتورجية). ـ من مهام

هذا المكتب تحضير كل ما هو ضروري للمراسم الطقسية والمراسم المقدسة الأخرى التي يحتفل بها الحبر الأعظم أو يُحتَفَل بها باسمه وإدارتها تبعاً للتعليمات المرعية الإجراء في القانون الطقسي: مدير المراسم الطقسية الحبرية يعينه الحبر الأعظم لمدة خمس سنوات، ويعين معاونيه في تنظيم المراسم أمين سر الدولة للمدة ذاتها.

ومنذ المجمع الڤاتيكاني الثاني اكتسب مكتب الأب الأقدس للمراسم الطقسية أهمية تزداد باستمرار بالنسبة إلى الرعائيات الليتورجية. في الواقع، أصبحت المراسم التي يترأسها الأب الأقدس أكثر عدداً أو تغيَّرت طريقتها تغيُّراً عميقاً، وجعل بثّها بواسطة التلفزيون مرجعاً مثالياً لتحقيق الإصلاح الليتورجي الذي قرره المجمع. ويعود إلى المكتب تحضير اجتماعات الكرادلة والمراسم الطقسية الخاصة بمجمع الكرادلة أثناء شغور الكرسي الرسولي. وهو يعد وينشر بعناية فنية الكراريس التي تتيح للمؤمنين مشاركة فعلية. وتحضر المراسم الطقسية التي تجري أثناء الزيارات الرعوية التي يقوم بها البابا إلى رعايا أبرشية روما ومؤسساتها في إيطاليا وعبر العالم.

والمساهمون بالإحتفالات البابوية يعاونون الأب الأقدس في إجراء المراسم الليتورجية ويعاونون الكرادلة في اجتماعاتهم لدى الحصول على لقب كردينال وعلى المهمات الحبرية. ويحضِّرون أيضاً السيامات الأسقفية وتبريك القسس التي تجري في روما بأمر من الأب الأقدس.

ويكونون، أثناء شغور الكرسي الرسولي، في خدمة مجامع الكرادلة ويدخلون إلى مجمع الكرادلة لإنجاز ما يُطلب منهم، من ذلك القيام بوظيفة كتّاب أعمال المجمع وخاصة انتخاب الأب الأقدس.

وأخيراً يرث مدير المراسم الطقسية الحبرية وظيفته من الحافظ القديم للأواني المقدسة في البيت الحبري وهو مسؤول أيضاً عن السكرستيّا (غرفة ملحقة بالكنيسة تحفظ فيها الأواني المقدسة وثياب الكاهن) الحبرية وكنائس القصر الرسولي.

IV ـ مؤسسات مرتبطة بالكرسي الرسولي

1 ـ وثائق الڤاتيكان السِّرِّية. ـ يستخدم وثائق الڤاتيكان السرية خاصة وبالدرجة الأولى الحبر الأعظم وإدارته أي الكرسي الرسولي. هذا ما صرَّح به البابا لاون الثالث عشر الذي كان يبيحها بسخاء سنة 1881 للبحاثة حتى تاريخ 1815 عندما عقد مؤتمر ڤيينا. وسمح البابا پيوس الحادي عشر بالإطلاع على الوثائق حتى نهاية حبرية غريغوريوس السادس عشر (1846). والبابا بولس السادس أباح الإطّلاع على حبرية البابا پيوس التاسع (16 حزيران/ يونيو 1846 ـ 7 شباط/ فبراير 1878). وأعلن البابا يوحنا بولس الثاني السماح بالإطلاع على وثائق حبرية البابا لاون الثالث عشر (20 شباط/ فبراير 1878 ـ 20 تموز/ يونيو 1903).

ولكن عمليات النقل والتقلبات السياسية أزالت، لسوء الحظ، من الوجود كل المواد الوثائقية السابقة للبابا إينوقنتيوس الثالث (1198 - 1216). وفي القرن الخامس عشر نقلت أغنى الوثائق إلى قصر سان ـ آنج (Saint - Ange). وأنشأ البابا بولس الخامس في القصر الرسولي مكتبة وثائق وضعت موضع التنفيذ خلال السنوات 1611 - 1614. وتشكل القسم الأهم منها من سجلات الرسائل البابوية ابتداءً من إينوقنتيوس الثالث (السجل الڤاتيكاني). وأودع البابا أوربانوس الثامن في وثائق الڤاتيكان سجلات أخرى من الرسائل البابوية والكتب الخاصة بالغرفة البابوية كانت قد بقيت حتى تاريخه في آڤينيون، وضمّ إليها ألكسندر السابع مراسلات أمانة سر الدولة. وفي 1783 نقلت مجموعة من سجلات الرسائل البابوية (المعروفة بتسجيلات آڤينيون) إلى الڤاتيكان. وفي 1810 أمر ناپوليون أن تنقل وثائق الڤاتيكان إلى باريس. ثم أعيدت إلى مكانها ما بين سنة 1815 - 1817 بعد أن فقد منها الكثير. وفي 1892 اغتنت محفوظات الڤاتيكان بما ضمّ إليها من وثائق ديوان التسجيل، مع سجلات الرسائل البابوية في دائرة الأختام البابوية إبتداء من سنة 1839 (السجلات اللاترانية). ومنذ ذلك

التاريخ جمعت الوثائق الڤاتيكانية القسم الحديث من أمانة سر الدولة ووثائق أمانة الرسائل البابوية ومحكمة الروتا الرومانية والدوائر والمجمع الڤاتيكاني الأول والسفارات البابوية المختلفة وكذلك وثائق بعض العائلات الرومانية النبيلة مثل: آل بورغيز وبونكوپاغني وروسپيغليوزي. والوثائق الڤاتيكانية التي تشكل جهازاً حياً، ما فتئت تزداد بمقدار كلم واحد من الرفوف سنوياً. وهكذا قرر البابا بولس السادس تشييد بناء جديد على عمق عشرين متراً تحت الأرض مؤلف من طابقين دشّنه البابا يوحنا بولس الثاني في ساحة پيغما. وصمم نظام من الرفوف المثلثية يسمح بتخزين 54 كلم من الوثائق، الأمر الذي حمل المسؤولين على مواجهة النصف قرن المقبل بروية. ويعاون مدير الوثائق وبإشراف الكردينال أمين المحفوظات في الكنيسة الرومانية المقدسة، في مهماته نائب مدير ووثائقيون ومساعدوهم. ويستقبلون كل عام 500 باحث من ثلاثين دولة. يتم الدخول إلى مبنى الوثائق من باب القديسة أنّا ومن فناء بلڤيدير. وثمة مدرسة پاليوغرافية ودبلوماسية ووثائقية تعمل منذ أيام البابا لاون الثالث عشر، ومنذ 1923 تعطى دروس سنوية في فن التوثيق.

2 ـ **المكتبة الرسولية الڤاتيكانية.** ـ كان سْكرينيوم (أي أرشيف) الكنيسة الرومانية، في القرن الرابع يحل محل مكتبة ودار المحفوظات. فقدت هذه المجموعة في النصف الأول من القرن الثالث عشر. وقد عرفنا مجموعات جديدة لبابوات من هذا القرن وصلت إلينا عن طريق إحصاء أجري في حبرية بونيفاس الثامن. وسبَّبت هجرة البابوات إلى پيروز وأسِّيز ثم آڤينيون خسائر جسيمة. وفي آڤينيون أسس البابا يوحنا الثاني والعشرون مكتبة ثالثة. وضُمّ جزءٌ فقط من هذه المجموعة في القرن السابع عشر إلى ملكية آل بورغيز ما لبث أن عاد إلى الكرسي الرسولي سنة 1891.

مؤسس المكتبة الڤاتيكانية هو البابا نقولا الخامس (1447 - 1455). وأوجد الأماكن الخاصة الأولى البابا سيكستس الرابع الذي أعطى المكتبة

تنظيمها الإداري الأول. وترقى المراكز الحالية إلى سيكستس الخامس. ومجموعات المخطوطات التي دخلت 1621 دفعة واحدة لم تُضم إلى المجموعة الموجودة آنفاً بل وضعت جانباً: مجموعات پالاتان 1622 وأوربانوس 1658 وملكة السويد 1690 وكاپوني 1746 وأوتّوبوني 1748 وبعد خسائر العهد النابوليوني استطاع البابا لاون الثالث عشر الحصول على مجموعة ضخمة (مجموعات بورغيز وبربريني وبورجيا) وحصل پيوس الحادي عشر على مجموعات روسّي وشيغي وفِرّايولي). وسهل البابا لاون الثالث عشر الإنتفاع بها بإيجاد قاعة لإستقاء المعلومات يرتادها اليوم أكثر من 2000 باحث أي حوالى 180 قارئاً في اليوم. والبابا پيوس الحادي عشر نفسه الذي كان أميناً سابقاً للمكتبة الأمبروازية (نسبة إلى القديس أمبرواز) في ميلانو ومديراً لمكتبة الڤاتيكان من سنة 1914 إلى سنة 1919 عهد بإدارتها إلى المدير مِركاتي ثم إلى أوجين تيسِّران من اللورين الذي جعل منه كردينالاً مكتبياً ووثائقياً للكنيسة الرومانية المقدسة. وأشرف عن كثب على الإصلاحات الإدارية والتقنية التي أجريت برعايته.

والمكتبة التي سهرت عليها عين كردينال يرعاها باتت اليوم تحت إشراف مدير. ويعمل النسّاخ على فهرسة علمية للمخطوطات ويعمل مساعدوهم على فهرسة المطبوعات. تحوي المكتبة حوالي 000 70 مخطوطة و 000 100 مخطوطة أصلية منفصلة ومليون كتاب مطبوع و 000 100 رسم وخارطة جغرافيَّة.

ومن أجل حماية أفضل لهذه الكنوز التي لا تقدر بثمن تقرر 1982 تشييد مستودع تحتأرضي مساحته 700 م^2 وحجمه 3000 م^3 وقد أمكن تحقيقه بفضل حقوق إصدار نسخ طبق الأصل وبأعداد محدودة لمئة مخطوطة قديمة. مجموعات ڤاتيكانية تمّ طبعها بتعاون أميركي والماني وإيطالي وإسباني وفرنسي وياباني. وتمثل بين أول الإصدارات مجموعة القوانين البنديكتية من القرن الحادي عشر ومجموعة قصائد ميكال آنج،

ورسائل من لوتير بنسختها الأصلية وكوزموغراڤيا بطليموس.

وقد ضمّ إلى المكتبة المتحف المسيحي (1745) والمتحف الدنيوي (1767) وديوان المسكوكات (1758). وأنشأ فيها البابا پيوس الحادي عشر سنة 1934 مدرسة للاقتصاد المكتبي.

يتم الدخول إلى مكتبة الڤاتيكان عبر باب القديسة أنّا (حنَّة) وفناء البلڤيدير بدرج في أقصى اليمين.

3 ـ **الأكاديميات والجامعات الحبرية.** ـ إذا كانت جامعات كاثوليكية كثيرة في العالم تمنح درجات أكاديمية في التنشئة الكنسية باسم القديس بطرس. فإن هذا يملك في روما ذاتها شبكة مهمة من المؤسسات الثقافية: الجامعة الغريغورية الحبرية (PUG) في جادة دِلأپيلوتا، 4؛ المعهد الحبري للكتاب المقدس جادة دلاپيلوتا، 25، المعهد الحبري للدروس الشرقية، جادة القديسة ماريا ماغيوري، 7؛ جامعة لاتران الحبرية، جادة القديس جيوڤاني في لاترانو، 4؛ جامعة القديس توما الحبرية، لارغو أنجليكوم، 1؛ الجامعة الحبرية الساليزية، جادة دِلْ أتينيو ماليزيانو، 1؛ أتينيه سان أنسِلم الحبرية، جادة فرسان مالطا الأتينية الحبرية الأنطونية، جادة مارولانا، 124؛ أتينيه الصليب المقدس الرومانية ساحة القديس أپولينار، 49؛ المعهد الحبري العالي للُّثْنَنَة أوكلِّية الآداب الكلاسيكية والمسيحية، ساحة دِلْ أتينيو ساليزيانو، 1؛ المعهد الحبري للموسيقى المقدسة، جادة دي تورِّي روسّا، 21؛ المعهد الحبري للآثار المسيحية، جادة ناپوليون الثالث، 1؛ كلية القديس بوناڤنتورا اللاهوتية الحبرية، جادة دل سيرافيكو، 1؛ المعهد الحبري للقداسة التيريزية والكَرْمليين الحفاة، ساحة القديس پانكرازيو، 5,A؛ المعهد الحبري للاهوت المريمي والمحسنين المريميين، طريق ترانتا أپريلي (30 نيسان/إپريل)، 6؛ المعهد الحبري للدروس العربية للآباء البيض، شارع دي ترانستيڤيري، 89؛ المعهد الحبري للعلوم التربوية (أوكسيليوم)، جادة فريمولينو، 141؛ معهد سلطانة العالم الحبري، لونغوتيڤيري تور دي نونا، 7؛ معهد الكنيسة الأم، شارع أنجيليكوم، 1؛

معهد العلوم الدينية، ساحة دِلا پيلوتا، 4؛ معهد الكنيسة الأم، ساحة القديس جيوڤاني في لاترانو، 4.

ويجدر بنا أن نضيف إلى هذه المجموعة الفنية، الأكاديميات الحبرية. الأكاديمية الرومانية للقديس توما والديانة الكاثوليكية تجمع أكاديمية القديس توما التي أسسها البابا لاون الثالث عشر في 13 تشرين الأول/ أكتوبر سنة 1879، وأكاديمية العلوم الكاثوليكية التي تأسست 1801. الأكاديمية الحبرية للاهوت الروماني أسسها الكردينال كازيمودو جيرولامي في نهاية القرن السابع عشر وافق عليها البابا كليمنس الحادي عشر ودعمها البابا بنوا الثالث عشر وفتحها البابا پيوس الثاني عشر أمام جميع لاهوتيي العالم الكاثوليكي بموجب براءة رسولية «معلِّمة الحقيقة» بتاريخ 5 حزيران/ يونيو 1956، مركزها في قصر ديوان الأختام. أكاديمية العذراء الحبرية تأسست 1835 وأعاد البابا يوحنا بولس الثاني تنظيمها سنة 1988. مركزها في الڤاتيكان. الأكاديمية الحبرية المريمية العالمية، تأسست سنة 1946، مركزها في شارع ميرولانا، 124. الأكاديمية الليتورجية (الطقسية) أسسها البابا بنوا الرابع عشر 1740، مركزها في شارع پومپيوماغنو، 21. الأكاديمية الحبرية الفنية لعباقرة الپانتيون، تأسست سنة 1542، أمانة سرها في قصر الأختام لعلوم الآثار. معهد تكريم الشهداء تأسس في 2 شباط/ فبراير سنة 1879. مركزه قرب المعهد الحبري لعلوم الآثار. وفي أول كانون الثاني/ يناير سنة 1994 أسس البابا يوحنا بولس الثاني الأكاديمية الحبرية للعلوم الاجتماعية.

إن الأكاديمية الحبرية للعلوم هي أعظم هذه المؤسسات، أنشأها، في روما، بتاريخ 17 آب/ أغسطس سنة 1603، فريدريكو سازي وجيوڤاني هِك وفرنسيسكو ستيلُوتّي وأنستازيو دوفيلييس باسم «أكاديمية العلوم». جدّدها البابا پيوس التاسع سنة 1847 باسم «الأكاديمية الحبرية للعلوم الحديثة». وأعاد البابا پيوس الحادي عشر تنظيمها بموجب الإرادة الرسولية

«بمساعدات كثيرة» بتاريخ 28 تشرين الأول/أكتوبر سنة 1936 بعد أن خصص لها منذ سنة 1922 مركزاً في بيت پيوس الرابع الذي بناه في حدائق الڤاتيكان سنة 1558 النابوليتاني پيرو ليغوريو. تشكلت هيئتها التعليمية من 80 أكاديمياً دون أي تمييز بين أشهر أساتذة العلوم الرياضية والإختبارية في جميع البلدان قاطبة. ويشكل الأعضاء الجدد الذين يختارهم البابا باقتراح من الأكاديمية، فئة وحيدة، غايتها تكريم العلم النظري في كل مكان يتكون فيه، وتأمين حريته وتسهيل أبحاثه وهي القاعدة الضرورية لتطوير العلوم التطبيقية. للأكاديمية ثلاث نشرات: تعليقات ووثائق وكتابات متنوعة.

وبموجب إرادة رسولية مؤرخة في 25 آذار/مارس سنة 1993 تلقى المجلس الحبري للثقافة تكليفاً برفع مستوى النشاط في الأكاديميات الحبرية المتجددة والتنسيق فيما بينها وخاصة في القطاعات الثقافية الكبرى: 1 ـ اللاهوت، الفلسفة، العلوم الدينية، 2 ـ العلوم الرياضية والفيزيائية والطبيعية، 3 ـ العلوم الاجتماعية والإنسانية، 4 ـ الآداب، الآثار، الفنون الجميلة. يقدم المجلس الأعلى للأكاديميات الحبرية تقريراً سنوياً عن النشاط للكردينال رئيس المجلس الحبري للثقافة الذي ينظم كل سنة جلسة بكامل الأعضاء يشترك فيها جميع الأكاديميات الحبرية حول موضوع النشاط الذي يقع عليه الاختيار نظراً لأهميته الخاصة.

4 ـ جهاز بنّائي كنيسة القديس بطرس. ـ يعود منشأه إلى البابا يوليوس الثاني الذي منح نعَماً خاصة للمؤمنين الذين أسهموا في إعادة بناء الكاتدرائية. وأوجد كليمنس السابع مجمعاً من 60 عضواً عهد إليهم مهمة بناء وإدارة الكاتدرائية. ووضع كليمنس الثامن وبنوا الرابع عشر بموجب الإرادة الرسولية (اهتمامات كثيرة بتاريخ 25 تشرين الثاني/نوڤمبر 1751) إدارة الأملاك في عهدة كردينال ـ أسقف يساعده مفوض مع مجلس إدارة يرتبط به المعماريون والمكاتب الإدارية والتقنية والقضائية، وتلحق به قاعة للموسيقى.

مكاتبها في حاضرة الڤاتيكان.

5 ـ مركز الإرشاد الرسولي. ـ يقدم باسم الأب الأقدس المساعدات للفقراء وهو يرتبط به مباشرة. يحمل المسؤول عنه لقباً أسقفياً. يحضر احتفالات الأب الأقدس ولقاءاته كعضو في حاشية البابا الذي ينتدبه لمنح البركة الرسولية مكتوبة على رق.

V ـ الحاشية البابوية

نشير، في ختام استعراضنا هذا للأقسام الرئيسية في الكرسي الرسولي المعروفة بشكل إجمالي باسم الڤاتيكان، إلى أن مجموعة المقربين من البابا تشكِّل، منذ أيام القديس لاون الكبير، العائلة البابوية. وقد ألغى البابا بولس السادس بموجب إرادة رسولية بعنوان «البيت البابوي» بتاريخ 28 آذار/ مارس سنة 1968 عدداً من الألقاب الزخرفية الموروثة من الماضي، واستبقى فقط ثلاثة ألقاب كنسية هي: الكتّاب الرسوليون، وأحبار الشرف، وكهنة قداسته. وأعضاء العائلة البابوية الكنسيون هم: وكيل أمانة سر الدولة للشؤون العامة، أمين سر العلاقات الدولية، المرشد الرسولي، رئيس الأكاديمية الحبرية الدبلوماسية: لاهوتي البيت البابوي، مجمع الكتبة الرسوليين، المشاركون المعدودون، الكتبة الرسوليون الفائضون، المساهمون في المراسم البابوية، الأحبار الشرقيون وكهنة قداسته وواعظ البيت البابوي. والأعضاء العلمانيون هم: الأمير تورلونيا مساعد العرش، يقوم بخدمته عند الزيارات الرسمية التي يقوم بها رؤساء الدول للحبر الأعظم، المركيز ساكتِّي المندوب الخاص للجنة الحبرية الخاصة بدولة حاضرة الڤاتيكان، مستشار الدولة العام، قائد الحرس السويسري، مستشارو الدولة، رئيس الأكاديمية الحبرية للعلوم، نبلاء قداسته، الحجّاب السرِّيون، حجّاب الشرف الفرسان، وكلاء القصور الرسولية، الموظفون الملحقون بغرف الإنتظار، أنسباء البابا. تحمل الألقاب ثقلاً عريقاً من

خدمة تغيرت طرقها على مرّ الأجيال ولكن روحها تبقى الإخلاص التام لشخص الأب الأقدس. إن خدمة الكنيسة المتنوعة الأشكال لأجهزة الإدارة الرومانية تؤلف الجهاز اليومي لحكومة الأب الأقدس التي تتصل به مباشرة كما أشارت إلى ذلك ديباجة الدستور البابوي «الراعي الصالح» لدى ذكر المجمع الڤاتيكاني الثاني:

«يستخدم الحبر الروماني، لدى ممارسته سلطته المطلقة التامة والمباشرة على الكنيسة الجامعة، أجهزة الإدارة الرومانية. وهؤلاء باسمه وبسلطانه يؤدون واجباتهم لخير الكنيسة وخدمة الرعاة».

خدمة الراعي الصالح

I ـ الإدارة الرومانية، أداة مجمعية لخدمة أسقفية راعوية

إن الدستور الرسولي، المدعو «الراعي الصالح»، الذي صاغه البابا يوحنا بولس الثاني، منظماً بذلك مجموع الخدمات في الإدارات الرومانية، وُضِع بكامله تحت شعار خدمة الراعي الصالح وشعبه.

وقد عهد الراعي الصالح، يسوع المسيح، إلى الأساقفة خلفاء الرسل، وبنوع خاص إلى أسقف روما، رسالة تعليم جميع الأمم وتبشيرهم بالإنجيل وتأسيس الكنيسة شعب الله. إن مهمة رعاة شعب الله هذا هي خدمة شمّاسيّة، كهنوت. هدفها تأسيس مشاركة مستمرة في كامل جسم الكنيسة التي جهّزها المسيح بهيكلية مجمعية وأسقفية في آن معاً. إن الميزة الخاصة للسلطة في الكنيسة هي ميزة رعوية. ومن أجل إنجاز خدمة الكنيسة الجامعة استخدم أسقف روما، منذ أزمنة بعيدة، الإدارة الرومانية كأداة ثابتة في تصرفه.

وقد أعطاها بنيتها الصورية البابا سيكستس الخامس سنة 1588، وأجرى عليها البابا بيوس العاشر إصلاحات سنة 1908 على أثر سقوط السلطة الزمنية للبابوات وأعاد البابا بولس السادس بناءها 1967 غداة المجمع. وعلى مدى أربعة أجيال، لم تمس هذه التعديلات المتتالية في الهيكلية طابع الإدارة الرومانية الأساسي المزدوج وهي: إنها أداة في خدمة

البابا. فليس لها من سيادة أو سلطة خارجة عنه، وإن شمّاسيتها المرتبطة بكهنوت بطرس تضعها في خدمة أساقفة العالم بأسره، أول وأكبر المستفيدين من نشاطها.

إن ملاحظة مجمعية ما تميّز خدمة الإدارة الرومانية وتبرز تمام البروز في الزيارات الدورية التي يقوم بها الأساقفة إلى أعتاب الكرسي الرسولي. تحدث هذه الزيارات عملياً كل خمس سنوات وهي تقدم للبابا فرصة في الدرجة الأولى من الأهمية وتشكل مركزاً لخدمته. يأتي رعاة الكنائس المحلية إلى روما ليروا بطرس ويعالجوا معه شخصياً وبشكل خاص، مشاكل أبرشياتهم ويقاسموه هموم الكنائس جميعها.

وتسمح هذه الزيارات للأساقفة، في الوقت نفسه، أن يعالجوا في العمق، تكراراً وبسهولة، مع الأجهزة المختصة في الإدارة الرومانية، المسائل التي تمتُّ إلى العقيدة وإلى النشاط الراعوي بصلة كما إلى المبادرات الراعوية والصعوبات التي تعترضها، على تنوّع الأشخاص والثقافات.

وتركّز القوانين العامة التي تنظم نشاط الإدارة الرومانية، على أهمية وضرورة العمل المشترك بين الأجهزة وعلى اجتماعات الكرادلة رؤساء الأجهزة التي يترأسها الحبر الأعظم، وعلى اجتماعات جميع كرادلة العالم بأسره بشكل مجامع مكتملة، وعلى مجلس الكرادلة من أجل دراسة المسائل المتعلقة بالتنظيم والمسائل الاقتصادية الخاصة بالكرسي الرسولي وعلى العلاقات المستمرة مع الكنائس الخاصة ومع جماعات الأساقفة، وعلى الزيارات إلى الأعتاب الرسولية التي تعتبر قمة العلاقات بين رعاة كل كنيسة خاصة والحبر الروماني، وهي علاقة منظورة للحركة أو الدورة الحياتية بين الكنيسة الجامعة والكنائس الخاصة وعلى الصفة الراعوية لنشاط الكرسي الرسولي.

II ـ سينودس (مجمع راعوي) الأساقفة

أوجد البابا بولس السادس في 15 أيلول/سبتمبر سنة 1965 بموجب الإرادة الرسولية «الاهتمام الرسولي» سينودس الأساقفة الذي يحمل إلى البابا بحسب تعابيره «تعزية لوجودك وعوناً لتجربتك، ودعماً لمشورتك، ووزناً لسلطتك». يجتمع الممثلون الذين تنتخبهم الجمعيات الأسقفية والأعضاء الذين يعينهم البابا بصورة دورية عند دعوة هذا الأخير وعادة كل ثلاث سنوات، وتتأمن الإستمرارية بين هذه الجلسات بواسطة مجلس الأمانة العامة للسينودس المؤلفة من 15 عضواً تنتخب الجمعية العمومية 12 منهم ويعين البابا الثلاثة الباقين. وتمتد وكالتهم من اجتماع سينودسي إلى آخر. هذه الإجتماعات هي على ثلاثة أنواع: عامة، غير عادية وخاصة.

وأصبحت هذه الإجتماعات بحكم لقاء أساقفة الكنائس المحلية الذي يترأسه أسقف روما، فرصة مميّزة للمشاركة الكاثوليكية في تقاسم الخبرات الرسولية. وقد قدم آباء المجمع تكراراً ملف أعمالهم للبابا الذي استقى منه مادة مواعظ رسولية غنية بعد ـ مجمعية: «المبشرون بالإنجيل» سنة 1975 حول التبشير بالإنجيل، والتعاليم التي يجب أن تلقن «سنة 1979 حول التعليم المسيحي، «الوفاق العائلي» سنة 1981 حول العائلة، «التوبة والمصالحة»، حول سر المصالحة، سنة 1984 «العلمانيون المؤمنون بالمسيح»، سنة 1988 حول رسالة العلمانيين، «أعطيكم رعاة» سنة 1992 حول تنشئة الكهنة. وقد دعا البابا يوحنا بولس الثاني إلى مجمعين خاصين في الڤاتيكان سنة 1980 مع أساقفة هولندا حول ممارسة العمل الراعوي في البلاد المنخفضة لكي تكتسب الكنيسة دائماً مزيداً من مظهر المشاركة، ولكي تضمن كنيسة أوكرانيا خلافة رئيس الأساقفة الأكبر ومتروبوليت لڤيف، الكردينال جوزف سليپيج؛ وسينودس لأوروپا سنة 1991 وآخر لإفريقيا سنة 1994.

ويُحضَّر سينودس من أجل كنيسة لبنان التي عانت الكثير من المحن.

وعلاوة على ذلك، فقد التأم مجمعان غير عاديين أحدهما 1969 حول الأسقفية والمجمعية والبابا وروما والكنائس المحلية، والآخر سنة 1985 بعد المجمع الڤاتيكاني الثاني بعشرين سنة ليرسِّخ رسالته وليتابع تنفيذها.

III ـ الكنيسة المحاوِرة

وهكذا نرى الڤاتيكان ينفتح بصورة مستمرة ومتزايدة على أبعاد الكنيسة عبر العالم. وبالقرب من قبر الرسول تستقبل كاتدرائية القديس بطرس الحجاج ينصبُّون غالباً من الصرح الرحب كما من قاعة للاجتماعات ليملأوا ساحة القديس بطرس: ثمانية ملايين سنة 1975 المقدسة. تتراصّ الجماهير لتسمع من لم يعد سجين الڤاتيكان، ولكن الزائرَ الرسوليّ، خلال أسفاره الكثيرة، عبر الكنائس المحلية.

فعلى مدى خمسة عشر عاماً من الحبرية قام البابا يوحنا بولس الثاني بإحدى وستين رحلة خارج إيطاليا زار خلالها 106 بلدان وقد قطع ما مجموعه 850 000 كلم استغرقت من الوقت ما يساوي سنة وشهراً ونصف شهر. ففي العاشر من أيلول/ سبتمبر سنة 1993 دامت أكثر الزيارات إثارة من 4 إلى 10 أيلول/ سبتمبر وللمرة الأولى إلى بلدان ضمت حديثاً بالرغم منها إلى الإمبراطورية السابقة الماركسية ـ اللينينية الملحدة: لتوانيا، ليتونيا وإستونيا.

وانفتحت هذه الزيارات الرسولية أيضاً على الأبعاد المسكونية كالزيارات إلى بطريرك اسطنبول المسكوني وإلى رئيس أساقفة الكنيسة الأنغليكانية في كانتربري. ويستقبل الڤاتيكان باستمرار وفوداً من الكنائس الأخوات التي تتطور معها المبادرات الرسولية والزيارات واجتماعات العمل.

وهكذا يبرز الڤاتيكان كعضو أكبر للحوار في زماننا، حوار الكنائس المحلية مع أسقف روما، حوار مسكوني بين الأديان، بين الثقافات، مع

الدول والمنظمات الدولية، في بحث عنيد عن الوفاق والسلام مع جميع الناس أصحاب النوايا الطيبة الذين أصبح الڤاتيكان بالنسبة إليهم قطباً ثقافياً ومغنطيساً روحانياً.

يشغل الڤاتيكان اليوم في العالم مركزاً فريداً واستثنائياً. هذا المقر الألفي للبابا ومعاونيه هو تعبير حي عن الكرسي الرسولي، وحضور ناشط فعال للكنيسة الكاثوليكية في العالم، ونداء نوراني للناس الذين يبحثون عن الإيمان والرجاء والمحبة في هذه الأمسية الواعدة والحائرة للألف الثالث بعد المسيح.

ملحق

اكتشاف الڤاتيكان

يقدم مكتب للاستعمالات كل المعلومات المفيدة لزيارة الكاتدرائية والحفريات والحدائق والمتاحف. يقع هذا المكتب في الرواق المفتوح الذي يصل، من على الجهة الشمالية للكاتدرائية، أعمدة برنيني بمجاز الكاتدرائية. الدخول إلى المكان هو حر عادة. والكاتدرائية تظل مفتوحة من صلاة الصباح (الساعة 7) إلى صلاة المساء (الساعة 18 صيفاً و 20 شتاءً). ويتم الدخول إلى كنز وقبة القديس بطرس عبر الكاتدرائية من الثامنة والنصف صباحاً حتى السادسة عشرة، وأيام الآحاد حتى الثالثة عشرة فقط.

I ـ نحو قاعة الاجتماعات

يخاطب البابا الزوار يوم الأربعاء من كل أسبوع. وعندما لا يتم اللقاء في ساحة القديس بطرس يجري في قاعدة الاجتماع. مدخلها إلى شمال الكاتدرائية بين أعمدة برنيني وقصر محكمة التفتيش (سانت ـ أوفّيس).

إن المكتب الفني التابع لمؤسسه القديس بطرس والواقع وراء المدرسة التوتونية يسلِّم البطاقات لزائري الحفريات الأثرية.

والزائر بمروره تحت أحد الأقواس يصل إلى ساحة القديسة مرتا وإلى جادة الأساسات (Via delle Fondamenta) التي تطوق صدر

الكاتدرائية. وفي نهايتها تشكل ساحة دِل فورمو أحد المداخل إلى القصر الرسولي الذي يحرسه السويسريون. وفي مكان أعلى يتيح الدخول إلى البساتين زيارات جماعية في السيّارات.

II ـ نحو القصر الرسولي

يحرس باب البرونز، القائم إلى يمين ساحة القديس بطرس تجاه الكاتدرائية، فرقة من الحرس السويسري. وهو يطل على رواق قسطنطين الذي ينطلق في نهايته درج برنيني الملكي المؤدي إلى القاعة الملكية المزيّنة بزخارف من صنع ڤاساري وهي ذات سقف من الجص النافر من عمل پياران دِلْ ڤاغا أنجز خلال حبرية بولس الثالث فارنيز (1549). وعند نهاية الدرج، من الشمال إلى اليمين مداخل إلى كنيسة سيكستين التي تتم زيارتها مع زيارة المتاحف، وإلى القاعة الدوقية وإلى الدرج الذي ينحدر نحو فناء المارشالية إلى قاعة التبريك فوق الساحة الداخلية لكنيسة القديس بطرس حيث يمنح البابا بركته لروما وللعالم من فوق الساحة، من المقصورة الداخلية، إلى كنيسة پولين.

وعلى بضعة أمتار من الباب البرونز إلى اليمين يؤدي درج پيوس التاسع إلى فناء القديس داماز. وعلى مسطّح الدرج تنفتح مكاتب مدير البيت البابوي التي تسلّم البطاقات المخصصة لحضور الاجتماعات والاحتفالات البابوية. وتوجد، في مكان أعلى، مكاتب إدارة أملاك الكرسي الرسولي.

يحاط فناء القديس داماز من جهاته الثلاث بحجرات صغيرة تدعى حُجُرات رافاييل الذي رسم فقط زخارف جناح الطابق الثاني. الطابق الأول خاص بالكردينال أمين سر الدولة. ويفتح الثاني على قاعات الاستقبال: قاعة كليمنتين تطل على قاعة اجتماعات الكرادلة، قاعات العرش، العرش الصغير ومكتبة البابا حيث يقوم باستقبالات خاصة. يشكل الطابق الثالث الشقة الخاصة بالبابا.

III ـ نحو الخدمات

على طريق باب أنجليكا (Via di Porta Agelica) التي تؤدي إلى ساحة القديس بطرس، ومن الجهة اليمنى، ينفتح باب القديسة أنَّا باتجاه اليمين، على كنيسة القديسة أنَّا؛ وعلى طريق پلّيغْرينو تقع مدرسة المنسوجات و «الأوسِّرڤاتوري رومانو» وموقف السيارات. ويقع إلى الأمام، للجهة الشمالية، حي السويسريين وقلعة نقولا الخامس والمكتب المعاون للأب الأقدس، وإلى اليمين المطبعة المتعددة اللغات والمكتبة ومراكز التلغراف ومحل التموين والمستوصف والصيدلية. وإلى الجهة الشمالية يوصل درج پيوس العاشر إلى فناء القديس داماز. ويوصل بعد مسافة قصيرة إلى فناء السان ـ أوفِّيس الذي ينفتح على مؤسسة الأعمال الدينية.

وعلى مسافة تبعد قليلاً قوسٌ يوصل إلى ساحة البلڤيدير. وإلى اليمين مدخل المكتبة والسجلات. وإلى اليسار المصاعد الكهربائية التي تصل إلى ساحة القديس داماز وإلى الطوابق الثلاثة للقصر الرسولي. وفي أقصى المكان، تؤدي طلعة غروتون إلى ساحة الخفر (Sentinelles) وساحة الببغاوات (Perroquets).

IV ـ نحو المتاحف

تفتح متاحف الڤاتيكان كل يوم ما عدا أيام الآحاد والأعياد من التاسعة صباحاً حتى الرابعة عشرة، وتفتح من الرابعة عشرة حتى السابعة عشرة خلال أعياد الفصح ومن أول تموز/ يوليو حتى 30 أيلول/ سبتمبر. والدخول مجاناً في الأحد الأخير من الشهر، وثمة مكتب للسيارات يوصل إلى المتاحف إنطلاقاً من ساحة القديس بطرس قرب مكتب الإستعلامات.

يقع المدخل الوحيد على جادة الڤاتيكان، قرب ساحة ريزورجيمونتو

حيث تصل السيارات ذات الأرقام 19، 23، 30، 47، 49، 50، 60، 77، 81.

وتوصل أدراج بِلْترامي التي ابتناها البابا پيوس الحادي عشر سنة 1932 إلى معرض الرسوم المؤلف من 15 قاعة:

1) رسوم بدائية وبيزنطية.
2) جيوتو ومدرسته.
3) فرا أنجليكو، فيليپو ليپّي، بنوزّو غوزّولي، جنتيلي دافابريانو، ماسولينو.
4) ميلوزّودا فورلي.
5) لا پريدلا دوكوسّا، كريڤلّي.
6) مذابح ولوحات متعددة المصاريع من القرن الخامس عشر.
7) لوپيروجان.
8) رافايل.
9) ليونار دا ڤينشي، بلّيني.
10) ڤيرونيز، لوتينيان سيبستيانو دل پيومبو.
11) باروتشي، كاراتشي، موتسيانو.
12) لودومينيكان، لوغيرسان، لوكاراڤاج، غوميدوريني.
13) ڤان ديك.
14) غويدوريني، روبنز.
15) لوتيتيان (رسم الدوج نيكولو مارسيلو) وماراتّا (رسم كليمنس التاسع روسپيغليوزي).

يقود رواق المشبّكات الأربعة إلى المتاحف. متحف پيوس ـ كليمنس: قاعة على شكل صليب يوناني مستديرة مقببة. صالة المتاحف والحيوانات. إلى اليمين صالة عرض التماثيل والمنحوتات النصفية وحجرة الأقنعة، في ساحة بلڤيدير ذات الشكل المثمن اللاوكون، ابولون، بيريسه،

هرمس، في الفناء المقفل: جذع بلڤيدير.

ويتألف المتحف المصري من عشر قاعات مع عدة نواويس من البازلت الأسود، مومياءات، قطع أثاث، تماثيل من الغرانيت الأسود (الآلهة ساكنيس، رمسيس الثاني، الملكة تيوي، امنحوتب الرابع). ـ وإلى اليسار توجد صالات الشماعدين والسجاد والخرائط الجغرافية. وثمة درج ورواق يؤديان إلى كنيسة سيكستين.

تشتهر كنيسة سيكستين بزخارفها الرائعة من صنع ميكال آنج منها: خلق الكون وتاريخ البشرية حتى نوح، ولوحته التي تمثل الدينونة الأخيرة (1533 - 1541). واقتصرت زخارف پيروجان وبوتيشلّي وروسلّي وسيغنوريلّي وغيرلاندايو وپيرو دي كوزيمو على حياة موسىٰ (الجدار الأيمن) ويسوع (الجدار الأيسر). إن تجديدها الذي حصل تحت إشراف شبكة التلفزيون اليابانية في طوكيو أعاد إلى كنيسة سيكستين إشراقة ألوانها الأساسية ذات الجمال الأخّاذ.

غرف رافاييل وجناح بورجيا. في الغرف، حريق بورغو، التوقيع، مدرسة آثينا، الجدال حول القربان المقدس، هليودور وقسطنطين. ويلي ذلك قاعة شيارُسْكوري وكنيسة نقولا الخامس، مقصورة رافاييل. ـ ويمكن النزول من قاعة حريق بورغو نحو جناح بورجيا ذي الغرف الست التي زخرفها پنتورِكسيو: العرّافات، قانون الإيمان، الفنون الليبرالية، حياة القديسين، جدال القديسة كاترين، تحت قسمات لوكريس بورجيا، أسرار الإيمان، الأحبار.

وتُبْرز مجموعةٌ من 55 قاعة متحفَ الفن الحديث الذي دشّنه البابا بولس السادس في 23 حزيران/ يونيو 1973، مع 740 عمل فني لأصحابها: براك، بوفيه، شاغال، دالي، دنيس، فوجيتا، غوغْوين، غويا، لوكور بوزييه، ليجيه، ماتيسييه، مانزو، ماتيس، موديغلياني، پيكاسو، رُوُوُلْت، أوتريلو، ڤلامنك...

ويوصل المتحف المقدس الدنيوي، مع عرس ألدوبْراندين الشهير، من عصر أغسطس، إلى المكتبة التي بدأ بجمع مخطوطاتها البابا نقولا الخامس: جدرانها وقببها مزخرفة: صالة عرض كليمنتين، قاعة ألكسندرين، وپولين وسيكستين (نسبة إلى سيكستس الثامن)، صالة عرض أوربانوس الثامن.

وفي أقصى متحف شيارامونتي، باسم مؤسسة البابا پيوس السابع، تحتوي صالة الحجارة الكريمة على أكثر من 5000 نقش وكتابة وثنية ومسيحية. ويبرز المتحف الأتروسكي والغريغوري (نسبة إلى غريغوريوس الثامن) الكثير من الأشياء التي وجدت في حفريات سرڤتيري سنة 1837 مثل: أواني مزخرفة، نواويس، برونزيات، مصنوعات من ذهب وأبازيم.

ونعود بعد هذه الجولة الواسعة إلى المجاز الذي يجمع المتاحف بمعرض الرسوم ويوصل إلى المتحف الجديد الذي شاءه البابا يوحنا الثالث والعشرون، وبناه الأخوة باسَّاريلّي (1965 - 1971) على امتداد معرض الرسوم في الحدائق، ليضم الأعمال الفنية التي كانت معروفة، حتى تاريخه، في شعر لاتران، الذي عاد مركز وكالة روما.

ويعرض متحف غريغوريوس الدنيوي الذي أسسه غريغوريوس السادس عشر (1831 - 1846)، القطع التي عثر عليها في الحفريات التي أجريت في الدول البابوية القديمة: فنّيات قديمة، نسخ النماذج اليونانية من العصر الكلاسيكي، نماذج أصلية من نهاية الجمهورية إلى العهد الإمبراطوري وفسيفساءات مصدرها حمَّامات كراكلاّ.

يتضمن المتحف الپيوسي - المسيحي الذي أسّسه پيوس التاسع سنة 1854 رواقاً للنواويس المسيحية ومجموعة كتابية. فيه ناووس عبور البحر الأحمر، والناووس اللاهوتي أو العقائدي كما يسمى بسبب عرضه التصويري للعقائد المسيحية التي يبرزها وخاصة صورة الراعي الصالح

الشهيرة، من القرن الرابع، ذي الشعر المجعد الذي يحمل على كتفيه النعجة التي وجدها.

وأخيراً يعرض المتحف العرقي الرسولي الذي أوجده عالم السلالات الشهير جوليان شميدت بطلب من البابا پيوس الحادي عشر، 40 000 مجموعة مصدرها المعرض الرسولي للسنة المقدسة 1925 على مدى 700 متر ويحوي 25 قسماً، يضم إليها التقدمات الآتية من مناطق انتشار الرسالة عبر العالم وهي:

الصين، كوريا، اليابان، الڤييتنام، أندونيسيا، الفيليپين، پولينيزيا، ميلانيزيا، استراليا، الحبشة، الشرق الأوسط، الهند، إيران، إفريقيا، مداغشقر. وأودع البابوات فيه عدداً من الهدايا التي تلقّوها. ويستطيع الزائر أن يتأمل بإعجاب، من بين هذه الهدايا والتقدمات، التحف الفنية لثقافات العالم قاطبة، مجموعة ثمينة من السجاد العجمي والأفغانستاني والبخاري التي أهديت إلى البابا يوحنا الثالث والعشرين.

ببليوغرافيا

Annuario Pontificio, 1 vol. annuel, Librairie Editrice Vaticane.
Bonnet (A.) et Gullo (C.) (a cura di), *La curia romana e la costituzione apostolica* « Pastor Bonus », Studi giuridici XXI, Città del Vaticano, 1990.
Carcopino (J.), *Les reliques de saint Pierre à Rome,* Albin Michel, 1965.
Cardinale (Mgr I.), *Le Saint-Siège et la diplomatie,* Desclée, 1962.
Chéramy (H.), *Saint-Pierre de Rome. De la tombe apostolique à la basilique moderne,* Flammarion, 1933.
Del Re (N.), *La curia romana. Lineamenti storico-giuridici,* 2e éd., Roma, Ed. di Storia e Letteratura, 1952.
Dupuy (Mgr A.), *La diplomatie du Saint-Siège après le IIe Concile du Vatican,* Téqui, 1980.
Guarducci (M.), *La tradition de Pierre au Vatican, à la lumière de l'histoire et de l'archéologie,* Typographie Polyglotte Vaticane, 1963.
Kirschbaum (E.), *Les fouilles de Saint-Pierre de Rome,* Plon, 1961.
Martin (Mgr J.), *Le Vatican inconnu,* Fayard, 1988.
Martin (Mgr V.), *Les cardinaux de la curie,* Bloud & Gay, 1930.
Mercier (J.), *Vingt siècles d'histoire du Vatican,* Lavauzelle, 1976.
Neuvecelle (J.), *Vatican, portes ouvertes,* Lausanne, Ed. Mondo, 1980.
Onorio (J.-B. d') (sous la direction de), *Le Saint-Siège dans les relations internationales,* Cerf/Cujas, 1989.
— *Le pape et le gouvernement de l'Eglise,* Fleurus-Tardy, 1992.
Poupard (cardinal P.), *Connaissance du Vatican,* nouv. éd., Beauchesne, 1974.
— *Un pape, pour quoi faire ?,* Mazarine, 1980.
— *Rome. Pèlerinage,* Desclée de Brouwer, 1980 ; nouv. éd. mise à jour, 1983.
— *Le pape,* PUF, 1980, 1985².
Le Vatican et la Rome chrétienne, ouvrage collectif préfacé par le cardinal Garrone, Cité du Vatican, 1975.
Les accords du Latran, ouvrage collectif, introduction par Mgr Baudrillart, Spes et Bloud & Gay (s.d.).

فهرست

منشورات عويدات 1996/996

PAUL POUPARD
Cardinal Président
du Conseil Pontifical de la Culture

LE VATICAN

Traduction arabe
de
Antoine A. HACHEM

EDITIONS OUEIDAT
Beyrouth - Liban

زدني علماً
217

الڤاتيكان

عاصمة الكثلكة في العالم

«الڤاتيكان، كم فرقة عسكرية؟» هذا ما قاله الجبّار ستالين ساخراً، وتعلّم خلفاؤه أن يحسَبوا له حساباً. فليست قوته العسكرية هي التي تعاظمت ولكن عودة المهابة تقترن، بالنسبة إلى الكنيسة القديمة، بتجدد الشباب العائد بانتخاب رئيس أساقفة كراكوڤيا كارول ڤوجتيلا (Karol Wojtala) ابن الثمانية والخمسين عاماً تحت اسم يوحنا بولس الثاني. إن ما يقارب من مليار كاثوليكي منتشرين في العالم يعترفون به رئيساً روحياً لهم لأنه نائب المسيح على الأرض، مفتاح القبة السماوية التي هي الأساقفة والروح القدس هو مهندسها. إن البابا، باعتباره أسقفاً لروما، لا يحكم الكنائس مباشرة فالأساقفة ليسوا أتباعه بل اخوته، وهو أبعد من أن يكون الرئيس - المدير العام (P.D.G.) للكنائس المحلية، إنه أسْقف كنيسة روما التي ترئس شركة الكنائس جميعها في الإيمان والرجاء والمحبة، وضامنة وحدتها. وهو ذاته يحكم أبرشيته في روما بواسطة كاردينال ينوب عنه. وهو على اتصال بجميع الكنائس عبر أعضاء الكرسي الرسولي الذين يؤلفون الإدارة العامة الرومانية.

EDITIONS OUEIDAT
B.P. 628 Beyrouth